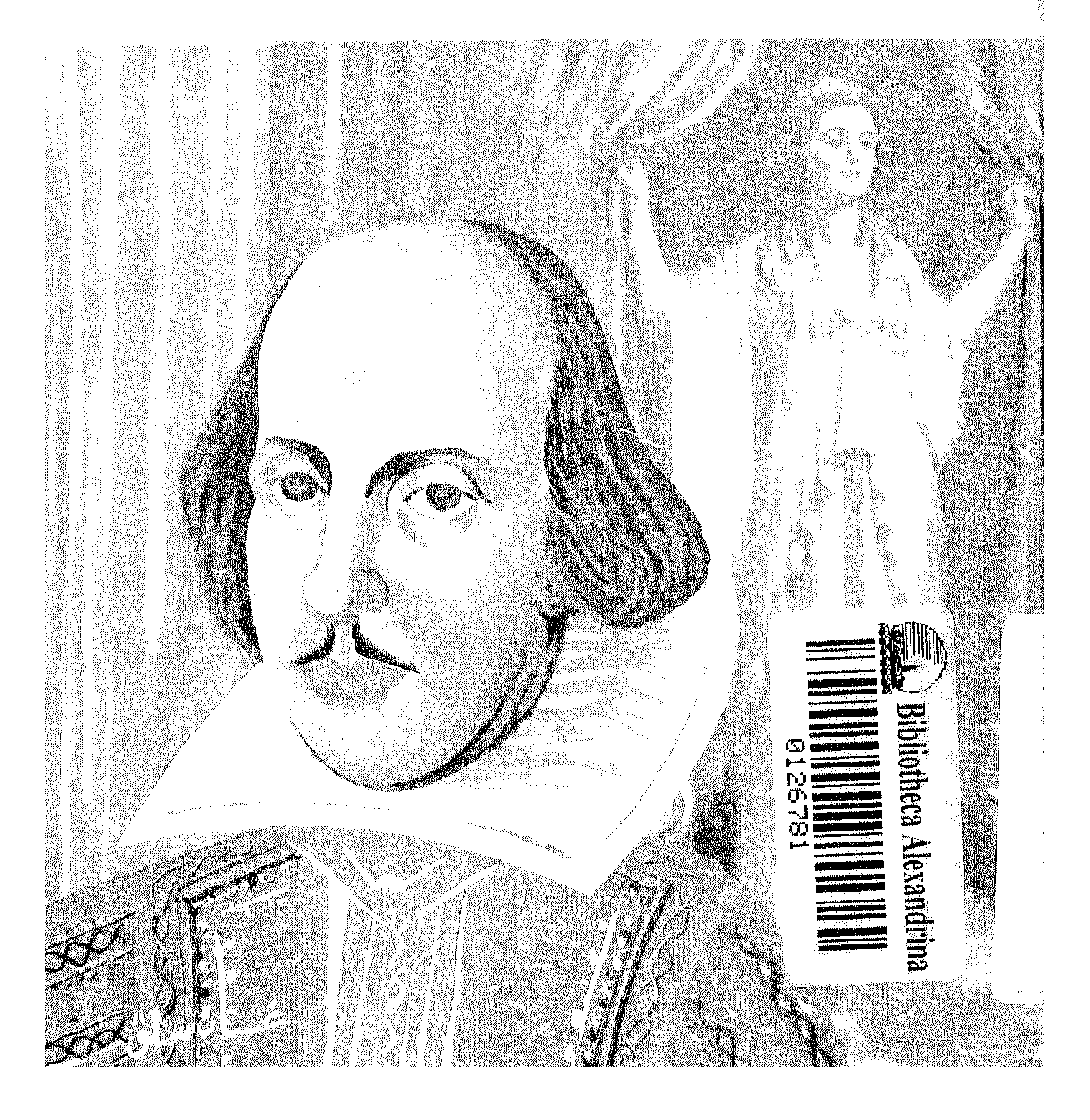
أعلام
مبرّزون

وليم شكسبير





أعلام مبرزون

من الشرق والغرب

وليم شكسبير

١٥٦٤ - ١٦١٦ م

دار الشرق العربي

بيروت شارع سورية - بناية درويش

سلسلة في عشر حلقات تعرض سيراً موجزة
لأعلام مبرّزين من الشرق والغرب

١ـ الإسكندر الأكبر
٢ـ هنيبعل
٣ـ أبو العلاء المعرّي
٤ـ ابن بطوطة
٥ـ ابن خلدون
٦ـ كريستوف كولومبوس
٧ـ وليم شكسبير
٨ـ نابوليون بونابرت
٩ـ ليون تولستوي
١٠ـ المهاتما غاندي

كتبها وأشرف على إصدارها
الدكتور صالح الأشتر

سلسلة صغيرة تغنيك عن مكتبة كبيرة

مقدمة

يَتفقُ المؤرخونَ الغَرْبيُّونَ على اعتبارِ **سُقوطِ القُسطنطينيةِ في** أيدي الأَتراكِ العُثمانيين عامَ ١٤٥٣ م **بِدايةً لِعَصْرِ النهضةِ في أورُبَّةَ**، إذ آنْتَقَلَتْ كُنوزُ التُّراثِ اليُونانيِّ والرُّومانيِّ مع العُلَماء الذين كانُوا يُقيمونَ في القُسْطنطينيةِ إلى إيطالية وغيرِها منْ بلادِ الغَرْب التي نَزَحُوا إليها، فكانتْ مُنْطلَقاً لِنَهْضَةٍ فكريةٍ كبيرةٍ، وبَدأَتْ ثقافةُ اليُونانِ والرومانِ، الصادرةُ عن تُراثِهما المنقولِ إلى أورُبَّةَ، تُضِيء العُقولَ وتَبُثُّ في النُّفوسِ روحاً جديدةً تَتَمرَّدُ على السُّلُطاتِ الدينيّةِ، وتُهاجِمُ الكنيسةَ التي كانتْ آنذاكَ تُمْسِكُ بزمامِ الفِكْرِ وتُوَجِّهُهُ حَسْبَ مَشيئَتِها، وقد تَمثَّلَتْ هذه الرُّوحُ الجديدةُ الناقِمةُ في عَدَدٍ من المُصْلِحينَ الدِّينيينَ الذين دَعَوا إلى تَطْهيرِ العَقائدِ، وخَرَجوا على السُّلْطةِ البَابَويَّةِ، **وانقسَمَ المسيحيونَ طائفَتَيْنِ: الكاثوليكِ** الذين ظلُّوا يحتفظون بالعقيدةِ القديمةِ، **والبروتستانتِ** الذينَ كانوا يُطالِبون بالتجديدِ والإِصْلاحِ، وكانتِ الغَلَبَةُ في انكلترة لهذهِ الطائفةِ الثانيةِ، **وشَمَلتِ البُلدانَ الأوربيةَ كلَّها مَوْجَةٌ عارِمةٌ من الشعورِ**

القَوْميّ، إذ أصبحتْ كلُّ أمةٍ تنتبهُ إلى نفسِها وقَوْميّتِها وتَحْرَص على استقلالِها. وظهر أثرُ ذلكَ كلِّهِ في الأدبِ في الأعوامِ الأخيرةِ من القَرْنِ السادسَ عَشَر، وفي أدَبِ شِيكْسبيرَ في تلكَ الحِقْبةِ نجدُ صُورة تُمثِّل بوضوحٍ وجلاء الروحَ القوميّةَ الانكليزيةَ والشعورَ القويَّ في نفوسِ الانكليزِ بِقَوْميّتِهم المُستقلةِ، وذلكَ هو الطابعُ المَميَّزُ لِعَصْرِ الملكةِ إليزابيث، وهو عصرُ شيكسبيرَ نفسِه، الذي كان عَصْراً زاهِراً بالنهضةِ التي شملتْ أوربةَ بأسْرِها، والتي كانت مِنْ أبْرَزِ مُقوّماتِها أربعةُ أمورٍ:

١ ــ ثقافةٌ جديدة مَوْصُولةٌ بكُتبِ التُراثِ اليونانيِّ والرومانيِّ..

٢ ــ وحَركةُ إصلاحٍ دينيٍّ تدعو إلى تَطْهير العقيدةِ..

٣ ــ وشعورٌ بالقَوْميّة يُميِّزُ أمَمَ أورُبّةَ بعضَها من بَعْضٍ..

٤ ــ وتطلُّعٌ لاستكشافِ آفاقِ الأرضِ والسماء في مُغامراتِ الرَّحالةِ والمَلاَّحينَ والفَلَكيينَ لِمَعْرفةِ المَجْهُول!

جميعُ هذه المقوماتِ نَجدُها بارزة في مُؤلّفاتِ شكسبيرَ، والحقُّ أن شاعرَ الانكليزِ الأعظمَ هذا هو الثمرةُ الكُبرى لثقافةِ عَصْرِهِ المُزدَهِرَةِ، بكلِّ خصائصِها ومُمَيِّزاتِها، كما سنرى من خلالِ عرضِنا لسيرةِ هذا العَبْقَريِّ المبرِّز الخالدِ.

الباب الأول

نشأةُ شكسبير وتكوينُه الثقافيُّ

— ١ —

وُلِدَ **وِلْيَم شكسبيرُ** في انكلتره، في بَلْدةٍ صَغيرةٍ تُدْعى **سْتراتْفُوردَ**، تقعُ على نهرِ **آفون**، ويُحيطُ بها ريفٌ رائعٌ فاتِنٌ، فالمُروجُ تَحُفُّ بها، والتلالُ والوهادُ المكْسُوَّةُ بالخُضْرَةِ الدائمةِ تمتدُّ مِنْ حُوْلِها، وتجعلُ تلكَ المِنْطَقَةَ الريفيةَ عامِرَة بألوانِ النَّشاطِ: فرُعاةُ الماشيةِ مَعَ قِطْعانِ الضَّأنِ مُنْتَشِرونَ فيها، والفَلاّحونَ يَزْرعونَ ويَحْصُدونَ في أرضٍ سخيةٍ مِعْطاء، والصَّيادُونَ لا يَكُفُّونَ عن صَيْدِ طَيْرِها وحَيَوانِها. أَمَّا البلدةُ نفسُها فلم تكُنْ قَريةً ضئيلةً مُنْعَزِلَةً في تلكَ المِنْطَقَةِ الرِّيفيَّةِ الجميلةِ، بلْ كانتْ مدينةً نشيطةً **تَموجُ برجالِ التجارةِ والأعمالِ**

وأصحابِ الأراضي الموسرينَ، وكان عددٌ من أهلِها قد غادَرُوها إلى لُنْدنَ، ليَشُقُّوا لأنفُسِهم طرُقَ مُستقبلِهم فيها، فأصابوا من النّجاحِ والغِنى والنُّفُوذِ حُظوظاً كبيرة، حتى إنَّ واحداً من تُجّار ستراتْفُوردَ النازحينَ إلى لُندُنَ صارَ عُمْدَةَ لِلعاصمةِ الانكليزيةِ.

في هذدِ المدينةِ الريفيةِ وُلِدَ شكسبيرُ في الثالثِ والعشرينَ من نَيْسان عامَ ١٥٦٤ م، في بيتٍ من بُيوتِها، في شارعِ (هَنْلي) يَقْصِدُهُ الزائرونَ من أرجاء الدنيا ألوفاً في كُلِّ عامٍ، وفي كنيسةِ هُولى تِرينيتي (كَنيسةِ الثّالوثِ المُقَدَّسِ) في هذه المدينةِ عُمِّدَ وِلْيَم شكسبير وسُجِّلَ اسمُه في سِجلِّ التَعْميد فيها، وهي الكنيسةُ التي ستَضُمُّ رُفاتَهُ بعدَ مَوْتِهِ، وسيَصيرُ قَبْرُهُ فيها مَقْصِدَ الزُوّارِ الوافدينَ على مَسْقَطِ رأسِ الشاعرِ الانكليزيِّ الأعظمِ، من جميعِ أَصْقاعِ الدُّنيا.

لم يكُنْ **جُونُ شكسبيرُ والدُ وِلْيَمَ** من أبْناءِ ستْراتْفُوردَ، إذ كان أبوه ــ جَدُّ وِلْيَمَ ــ واسمُه ريتشاردُ شكسبيرُ، يملكُ مَزْرَعةً في **«إسْنترَ فيلْد»** في شَماليِّ ستراتفوردَ، ومنها نَزَحَتِ الأسرةُ إلى ستراتفوردَ، يومَ كانَ والدُ وِلْيَمَ في شَرْخِ شَبابِهُ، وكانَ يومَذاكَ يَمْتَهِنُ صناعةَ القُفّازاتِ وغيرِها من المَصْنُوعاتِ الجِلْديةِ الدقيقةِ، فشاعرُنا الأعظمُ إذاً هو **سَليلٌ لِأسرةٍ من مُلاَّكِ الأرْضِ**، وقدِ انْصَرفَ أبوه بعدَ استنزافِ أملاكِ الأسرةِ إلى الصِّناعةِ، وزَعمَ بعضُ الرواةِ أنّه كانَ يُتاجِرُ في الصُّوفِ إلى جانبِ صِناعةِ الجِلْدِ، كما زَعمَ آخرون أنَّه كانَ قَصّاباً، وهو زَعْم يُفَنِّدُهُ الباحثونَ ويَرفُضُونَه.

وأما **أمُّ وِلْيَمَ السيدةُ «ماري آرْدِنْ»** فهيَ ابنةُ تاجرٍ غنيٍّ كانَ يُقيمُ في بلدةٍ قريبةٍ من ستراتفوردَ،

ويُجمعُ الباحثونَ على أنّه سليلٌ لأسرةٍ من أمْجَدِ الأسَرِ وأعْرَقِها في انكلترةَ، وَرِثَ الضِّياع والبَساتينَ، فأوْصى بها لِصُغْرى بناتِه ـ أمِّ وِلْيَمَ ـ ولكنَّها كُلَّها ضَاعَتْ رهينةً لِدَيْنٍ، فلَمْ تَفُزِ الأمُّ التي أنْجَبَتْ أعظمَ شُعراءِ العالمِ مِنْ ثَرْوَةِ أبيها بِطَائلٍ، ولولا ضَياعِ تلكَ الثروةِ الكبيرةِ لَكانَ وليمُ شكسبيرُ نشأَ في خَفْضٍ وَرَفاهِيَةٍ من العَيْش، ولَكانَتْ سِيرةُ حياتِه في طُفُولتِهِ وتكْوينِهِ وشَبابِهِ سِيرة أُخْرى!

كان وِلْيَمُ ثالثَ أبناءِ أبيه، فقد رُزِقَ جُونُ شكسبيرُ قبلَهُ ابنتَيْنِ تُوُفِّيَتا صغيرتَيْنِ، ثم رُزِقَ بعدَ وِلْيَمَ ثلاثةَ صِبْيانٍ هُم جلبَرْتُ وريتشارْدُ وإدْمُونْدُ ثم رُزِقَ بعدَهم ابنتَيْنِ، وهكذا كبرَتْ الأسرةُ، ولم يَكُنْ كَسْبُ مُعِيلِها كبيراً، فظلَّ لا يَمْلِكُ من المالِ ما لا يَزيدُ عَنْ حاجَتِهِ، على الرغمِ من كَثْرةِ نشاطِه وبَراعتِه في عَمِلِه وصناعَتِه، ويبدو أنَّ حالتَه الماليةَ

قد تحسَّنَتْ بعدَ ميلادِ وِليَم، إذ اختيرَ في عام ١٥٦٥ م عُمْدَة للمدينةِ ثم رئيساً لِبَلَدِيَّتِها عامَ ١٥٦٨ م، وبذلكَ **أصبح جُونُ شكسبيرُ من أعْيانِ مدينةِ ستراتفوردَ**، وغَدا مَشْهُوراً في بَلْدتِهِ، وعَظُمَ شَأْنُهُ، وازدادتْ حالُه مع الأيامِ تحسُّناً، بِفَضْلِ اجتهادِهِ وحُسْنِ إدارتِهِ لأَعْمالِه، وثِقَةِ الأهلينَ بهِ وتقديرِهم إيّاه، وقد استطاعَ خِلالَ عَشْرٍ من السَّنَواتِ أن يَرْفَعَ مُسْتَوَى مكاسِبِه، فظَهَرَتْ عليهِ مظاهرُ الغِنى والثَّراءِ، واشترى مَنْزِلَيْنِ في ستراتْفُوردَ، وبَسَطَ الرجلُ يَدَهُ في الإنْفاقِ على أسْرَتِهِ، غيرَ أنَّ الحالَ لم تَدُمْ على هذِهِ الصُّورَةِ الزاهيةِ طويلاً، إذْ لَمْ تَلْبَثِ الثروةُ التي نَعِمَتِ الأسرةُ بِخَيراتِها حِيناً أنْ تَبَدَّدَتْ، وعادَتِ الأسرةُ إلى العُسْرِ والضيِّقِ، واضْطُرَّ والدُ وِلْيَمَ إلى رَهْنِ عَقارِهِ الذي اشْتَراهُ بِكَدِّهِ ونَشاطِهِ، لِيتمكَّنَ من الإنْفاقِ على أسْرَتِهِ.

— ٢ —

قضى وِلْيَمُ شكسبيرُ **طُفولَتَهُ في مَسْقَطِ رأْسِهِ** في مدينةِ ستراتْفُوردَ الناعمةِ في أحْضانِ الرِّيفِ، وكانتْ طفولةً هادئةً مثلَ جميعِ لِداتِه الذينَ نَشَأوا في مِثْلِ تلكَ البَلْدَةِ الصَّغيرةِ، ويُرَجِّحُ الباحثونَ في آثارِهِ المسرحيةِ وما فيها مِنْ صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ لِلأَشْباحِ والجِنِّ والأَهْوالِ المُرْعِبَةِ أنْ يكُونَ الطفلُ الصغيرُ قد استمعَ في طُفولَتِهِ المُبكِّرةِ تلكَ إلى ما كانَ يُحْكى لِلصبيانِ قبلَ استسلامِهم لِلنومِ من قِصَصِ الجِنِّ والسَّحَرَةِ وأشباحِ المَوْتى وأهْوالِ اللَّيْلِ والظَّلامِ، وقد استطاعَتْ تلكَ الحِكاياتُ أنْ تَتْرُكَ في خَيالِ الصبيِّ

آثاراً قوية، وقد أحسن الشاعرُ فيما بعدُ استغلالَها في مَسْرحياتِه أحسنَ استغلالٍ.

وعندما بَلَغَ وِلْيَمْ عامَه السابعَ **أرْسَلَهُ أبوه إلى المدرسةِ في ستراتْفُوردَ لِيَقْضِيَ** فيها قُرابةَ ثمانيةِ أعْوامٍ هي جِماعُ فَتْرَةِ تَحصيلِهِ المدرسيِّ، في مَرْحَلتَيْهِ الابتدائيةِ والثانويةِ، لأنَّ الفَتى سيُغادِرُ المدرسةَ، بعد اشتدادِ العُسْرِ والضِّيق على أبيهِ، لِيُشارِكَ في الحياةِ العمليَّةِ، ولم يكُنْ قد أتَمَّ يومَذاك عامَه الخامسَ عِشَرَ، **والباحثونَ إلى اليومِ حائرونَ في الاهْتِداءِ إلى مَصادرِ ثقافةِ الشاعرِ العبقريِّ** التي تعكسُها أشعارُه ومسرحياتُه: ففي رواياتِ وِلْيَمَ شكسبير اطِّلاعٌ على أدَبِ الأقدمينَ فكيفَ تَيَسَّرَ لهُ ذلكَ كُلُّهُ **وهو الذي لم يُتِمَّ تعليمَه الثانويَّ**، ولم تُتَحْ له دراسةٌ جامعيةٌ بعدَ ذلك!

يقولُ أَحَدُ الباحثينَ: «إن اللُّغْزَ الذي يُحَيِّرُ حقاً في حياةِ شكسبير العظيمِ هو عَدَمُ استقامةِ ما نَعرفُه عن ثقافتِه الرسميةِ معَ أدبِه العالميِّ المجيد الذي يَنمُّ عن عِلْمٍ مُستَفيضٍ وعَميقٍ بتُراثِ الأَدَبِ الانسانيِّ، أَغْلَبُ الظنِّ في منابِعِه الأولى!!»

الشائعُ عن شكسبير أنّهُ كانَ رَجُلاً «**رُبْعَ مُتعلِّم أو نصفَ مُتَعَلِّم على أكثرِ تقديرٍ**» فهو لم يُتِمَّ تعليمَه في المدرسةِ الثانويةِ لِضِيقِ ذاتِ يدِ أبيهِ، وقدْ تَرَكَ المدرسةَ لِيُساعِدَ أباه في عَملِهِ وتحصيلِ عَيْشِهِ، ثُمَّ استغرقَتْهُ الحياةُ العمليَّةُ عنِ الدراسةِ المُنْتَظَمةِ، **فكيفَ تَيَسَّرَ لهذا الرجلِ الناقصِ الثقافةِ أن يُعَلِّمَ نفسَه تعليماً رفيعاً** يُتيحُ له أن يُنشِيءَ كلَّ هذا الأدبِ العظيمِ الذي نجدُه في مسرحياتِه، والذي يَدُلُّ على فلسفةٍ عميقةٍ وثقافةٍ واسعةٍ وذكاءٍ خارقٍ!

إنَّ في الأمْرِ لُغْزاً يَنْبَغي حَلُّهُ!

من هُنا انطلقتْ **دراسات** تَزْعُمْ أنَّ وراء المسرحياتِ المنسوبةِ إلى شكسبيرَ شخصياتٍ أخرى هي التي ألَّفَتْها أو شارَكَتْ في تأليفِها، كما انطلَقَتْ **مَزَاعِمُ** أخْرى تقولُ إن كثيراً من مَسْرحياتِ شكسبيرَ كانتْ مسرحياتٍ موجودة فِعْلاً، وأنَّ شكسبيرَ تناوَلَها بالإصْلاحِ والتَّنْقيحِ بِحَيْثُ جَعَلَها في حالَتِها المعروفةِ الآنَ، أوْ أَنَّهُ أعادَ صِياغتَها على طريقتِه، وأنَّ هذا هو الذي مَكَّنَهُ من تَحْقيقِ هذا الانتاجِ الضخمِ ولو أنّه كانَ هُو مُبْتِكرَ هذه المسرحياتِ مِنْ أصُولِها لَمَا تمكَّنَ من إنْجازِ هذا المحصولِ المَسرحيِّ البالغِ الوَفْرَةِ!

والحقُّ أنَّ ثقافةَ شكسبيرَ التي أعْطَتْ مسرحيّاتِه، تَغْدُو لُغْزاً مُحَيِّراً عندما نَقْبَلُ الآراء

الشائعةَ عن نُقْصانِ ثقافتِه وتعليمِه، وهي آراء يَسْخُو بها المُؤرِّخُونَ لِحياةِ العُظَماءِ لكي يَفْتِنُوا بها القُرّاء، فَرَجُلٌ «رُبْعُ مُتَعَلِّمٍ» مثلُ شكسبيرَ يُنتجُ هذا الأدبَ الشامخَ الخالدَ أمرٌ يَسْتَثيرُ إعْجابَ القُرّاءِ، وقصةُ العظيمِ لا تكون فَاتِنَةً جَذْابَة إلاّ إذا ارْتَقَتْ به من الحَضيضِ الأسفلِ إلى الأَوْجِ الأعلىٰ: فهذا القَصّابُ ابنُ القَصّابِ يُصْبِحُ أكبرَ عبقريَّةٍ شعريةٍ في الدُّنيا، وهذا الرجلُ الناقصُ الثقافةِ يُنْتِجُ أعظمَ أدبٍ غَنيٍّ بالفلسفةِ والثقافةِ والذكاء! تناقُضات تستثيرُ إعْجابَ الناسِ من القُرّاء وتُرْضي أَذْواقَهم!

إن **ثقافةَ شكسبيرَ الحقيقيةَ هي ما تكْشِفُ عنهُ آثارُه وأعمالُه**، وقد استطاعَ العبقريُّ أنْ يُحَصِّلَ هذه الثقافةَ من دراستِهِ الرسميةِ أولاً ثُمَّ من مُتابَعةِ القِراءةِ، وتعليمِ نفسِه بنفسِه، والكتابُ خيرُ

مُعَلِّمٍ كما يَقُولون، وفي الدُّنيا كثيرٌ من المُبَرِّزين في كُلِّ أمةٍ من أمَمِ الأَرْضِ، عَلَّمُوا أنفسَهم بأَنْفُسِهم، بعدَ دراستِهم الأَوَّلِيَّةِ على مُعَلِّميهم، حتى بَلَغُوا أَرْفَعَ الدَّرَجاتِ.

ـ ٣ ـ

هناكَ أدِلّةٌ في أدَب شكسبيرَ على أنّه **كانَ مُطَّلِعاً على أهَمِّ آثارِ التُراثِ اليونانيِّ والرومانيِّ،** وقد كانَ أكثرُ ذلك التراثِ في عَصْرِ شكسبير غيرَ مُترجمٍ إلى الانكليزيةِ، ولا سبيلَ إلى قراءتِهِ إذ ذاكَ إلاّ في اليُونانيةِ أو اللاتينيةِ، والمعروفُ أن شكسبيرَ تعلَّمَ اللاتينيةَ والاغريقيةَ (اليُونانيةَ القَديمةَ) في مدرسةِ ستْراتْفُوردَ، وطالَعَ أجزاء من الأَدَبِ اللاتينيِّ كانَ لها أبلغُ الأثرِ في تكْوينِهِ الأدبيِّ، ومهما يكُنْ حَظُّ شكسبيرَ من هاتَيْنِ اللُغتَيْنِ قليلاً فإن مسرحياتِه فيها الدليلُ على قِراءتِه للشاعرِ

الرَّومانيِّ **(أوفيد)** وتَأَثُّرِهِ بهِ واستعارتِه لِبَعْضِ شخصياتِهِ من أَدَبِهِ، كما أنَّ في مسرحياتِهِ أَثَراً لآخَرينَ من أعلامِ الأدبِ اللاتينيِّ مثلِ «**بُلوتس**» و «**جوفْنال**» مِمّا يُؤَكِّدُ لنا أنَّ الفتى عندما غادرَ ثانويةَ ستراتفوردَ [illegible]، إلْمامٍ دَقِيقٍ وَوَاسِعٍ باللُّغةِ اللاتينيةِ وأعْلامِ أدبِها.

والباحثونَ في أدبِ شكسبيرَ **يُرجِّحُونَ معرفةَ الشاعرِ بمبادىء عددٍ من اللُغاتِ الأُخْرى كالِفرنسيةِ والايطاليةِ**، مِنْ خِلالِ العِباراتِ المنثورةِ من هَاتَيْن اللغتينِ في مسرحياتِه، ويبدو أنَّ احتكاكَ شكسبيرَ ببعضِ الجَالياتِ الأجنبيةِ في لُنْدُنَ، بعدَ انتقالِه إليها أتاحَ له مَعْرفةً بمبادىء لُغاتِها، ويَظُنُّ بعضهُم أنَّ شاعرَنا زارَ عَدَداً من البلادِ الأَوْربية، ومنها فرنسةُ وإيطاليةُ، وأفادَ من تلكَ الزياراتِ

مَعْرفتَه بمبادىءِ تلكَ اللّغات!

والحقُّ أن سِتاراً من **الغُموضِ يُغَطّي بعضَ الفَتَراتِ من حياةِ شكسبيرَ:** كهذه الفترةِ التي تلَتْ تركَهُ لِلمدرسةِ الثانويةِ في ستراتفوردَ لِيُساعِدَ أباه في ضائقَتِهِ الاقتصاديةِ، ويبدو أنَّه لم يَنْقَطِعْ عن تعليمِ نفسِه بِمُوالاةِ القِراءةِ والتَحْصيلِ، ومَسرحياتُه تُبيحُ لنا أَنْ نَفْتَرِضَ أنه كانَ في صَدْرِ شبابِه مَرِحاً كثيرَ التَّجْوالِ في الحُقولِ، عميقَ الإطِّلاعِ على حَياةِ الرِّيفِ، ففي مسرحياتِه ذِكْرٌ للجيادِ وكِلابِ الصَّيْدِ والغِزْلانِ والصُّقُورِ، مما يُؤكِّدُ لنا أَنّه عاشَ في أَحْضَانِ الطبيعةِ زَمَناً، واكتسبَ منها تجارِبَ أَحْسَنَ استغلالَها في رِواياتِه بعدَ ذلكَ.

وهُناكَ روايةٌ تتحدَّثُ عن اشتغالِ شكسبيرَ في هذهِ المرحلةِ من حياتِهِ بالتدريسِ في مدرسةٍ ريفيّةٍ،

غيرَ أن الباحثينَ لا يجدون دَليلاً يُؤيِّدُ صحةَ هذه الروايةِ أو يَنْفِيها، ومسرحياتُ شكسبيرَ إذا عَرَضَتْ لِتصويرِ أَحَدِ المعلِّمينَ صَوَّرَتْهُ على هيئةٍ تدعو إلى السُّخْرِيَةِ، وتَبْعَثُ على التحقيرِ والزِّرايةِ، مما يَدْفَعُ إلى الظنِّ بأن شكسبيرَ لم يكُنْ يُضْمِرُ لمهنةِ التعليمِ احتراماً أو تقْديراً.

الباب الثاني

كفاحُ شكسبير في الطريق إلى القِمّةِ



— ١ —

غادر شكسبيرُ مدرستَه الثانويةَ في ستراتفوردَ عامَ ١٥٧٨ م وهو دُونَ الخامسةَ عشْرَةَ من سَنَواتِ حياتِه لِيَبْدأَ كِفاحَه العلميَّ إلى جانبِ أَبيهِ، عَوْناً لهُ في عُسْرِهِ وضيقِ ذاتِ يدِه، وقد أَمْضى الفتىٰ سَبْعَ سنواتٍ في بَلْدَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُغادِرَها عامَ ١٥٨٥ م إلى لُنْدُنَ، حينما أدركَ أَنَّ ستراتفوردَ لَنْ تَستَطيعَ تحقيقَ مطامِحِه الكبيرةِ في المُستقبلِ الذي يَحلمُ بأمجادِه لِنفسِه، وقد أَتَاحَتْ **لُندُنُ** لِلشاعرِ العيقريِّ خِلالَ سَبْعِ سنواتٍ أخرى أنْ تُوصِلَهُ إلى النجاح، فإذا هُو عامَ ١٥٩٢ م نجمٌ سَاطِعٌ، وعَلَمٌ من أَعْلامِ المَسْرَحِ والتمثيلِ في العاصمةِ الكبيرةِ، وسنُحاولُ في هذا البابِ أَن نَتَبيَّنَ خُطُواتِ كِفاحِهِ في طريقِه إلى

القمةِ مُنذ تَرْكِهِ المدرسةَ حتى أصبحَ عَلَماً بارزاً فوقَ مَسارِحِ لُنْدُنَ.

والباحثونَ يَتَحدَّثُونَ عنِ الغُمُوضِ الذي يكتَنِفُ هذه المرحلةَ من حياةِ شاعرِنا العظيمِ، وقد أَشَرْنا إلى ذلكَ من قَبْلُ، فنحنُ لا نعرفُ كيفَ أمضى أعوامَه في ستراتفوردَ بعدَ تَخَلِّيهِ عن المدرسةِ إلى أنْ بَلَغَ الحاديةَ والعشرينَ من عُمرهِ، وهناكَ روايات كثيرة ومُتَناقِضَةٌ تَجعلُنا في يَأسٍ من أَنْ نعلمَ عِلْمَ اليقينِ ما كانتْ صِناعتُه التي يَرْتَزِقُ منها حينَذاكَ، **فهل كانَ يعملُ في التدريسِ، أَم في صناعةِ الجُلودِ، أم في بَيْعِ اللُّحومِ!! أم كان يَعملُ في الزراعةِ وَرَعْيِ الماشيةِ** فيقضي أيامَه في حِراسَةِ قِطعانِها في الحُقولِ والمراعي الخَصِيبةِ التي تُحيط بِستراتْفوردَ مِنْ كُلِّ جانبٍ!

بعضُ الرواياتِ تقولُ إنه كانَ يُمضي نِصْفَ نهارِه الأَوّلَ في مُساعدةِ أبيهِ في بَيْعِ اللَّحْمِ والزِّراعةِ، ويقضي نِصْفَهُ الثاني في رِعايةِ بِضْعِ بَقَراتٍ وَهْيَ تَرْعى في الحُقولِ القريبةِ، حيثُ كانَ الفتى الحالِمُ يَتركُها تَرْعى، بينما يَنْصَرِفُ هو إلى قِراءةِ كتابٍ يحملُه، أو كتابةِ بعضِ المقاطعِ الشعريةِ التي كانت موهبتُه المُتفتّحةُ تجودُ بِها، حتى إذا انقضى النهارُ، وغَرَبَتِ الشمسُ، عادَ الفتى إلى داره لِيَنْصرفَ بعدَ العشاءِ إلى مُتابعةِ القراءةِ، مُوالِياً تَثْقيفَ نفسه بنفسِه، مُسْتَظْهِراً من الشعرِ اللاتينيِّ أو الإغريقيِّ ما يَلَذُّه، ويَجْعَلُه على صِلةٍ دائمةٍ بهاتَيْنِ اللُّغتينِ اللّتَيْنِ تَعَلَّمَهُما في مدرسةِ البلدةِ.

هذهِ الرواياتُ عن حياتِه قَبْلَ رحيلِهِ إلى لُنْدُنَ يُحيطُ بها غُموضٌ، غيرَ أنَّ واقعةً من وَقائعِ حياتِه

خِلالَ هذه الفترةِ تبدو لأعْيُننا حقيقةٌ لا يَعْتَريها الشَكُّ، وهي حادثةُ **زَواجِه المُبَكِّرِ** عامَ ١٥٨٢، وهو في الثامنةَ عَشْرةَ من عُمرِهِ من ابنةِ أَحَدِ المُزارعينَ الأغنياءِ المُقيمينَ على مَقْرُبَةٍ مِن البلدةِ، وهو زَواجٌ يُثيرُ التساؤلَ والدَّهْشَةَ، لأكثرَ مِنْ سَبَبٍ! فقد كانتِ الفتاةُ **(آنْ هاثاواي)** قد أَتَمَّتْ عامَها السادس والعِشرينَ، فهي تكْبُرُ وِليم شكسبير بثمانيةِ أعْوامٍ، وقد وَقَع الزَّوَاجُ في ظُروفٍ غيرِ مُلائمةٍ لأسرةِ شكسبيرَ التي كانتْ تُعاني من الضِّيقِ الماديِّ ما جَعَلَها تَحْرُمُ الفتى المَوْهوبَ من مُتابعةِ دراستِه النظاميَّةِ، وتَدفعُ به إلى الحياةِ العمليةِ لِيُسْهِمَ إلى جانبِ ابيهِ في كَسْبِ لُقْمةِ عَيْشِ الأسرةِ وتَأْمينِ نَفَقاتِ حَياتِها، وما انقضى على زَوَاج الفَتى خَمسةُ أشهرٍ حتى وَضَعَتْ له الزَّوْجةُ **أولى بناتِه (سُوزانا)**

في السادسِ والعشرينَ من أيارٍ عامَ ١٥٨٣! وبعضُ الباحثينَ يُصَرِّحُونَ بأنَّ شكسبيرَ وجدَ نفسَه وهو في الثامنةَ عَشْرَةَ مُتَوَرِّطاً في الزَّواجِ من آنْ هاثاواي بَعْدَ أن حَمَلَتْ مِنْهُ سِفاحاً، وآخَروُنَ لا يَرَوْنَ في الأَمْرِ تَوَرُّطاً، ويقولونَ إن الزَّواجَ في انكلترة في القرنِ السادسَ عَشَرَ كانَ يَتِمُّ على مَرْحَلَتَيْنِ: زواجٍ قانونيٍّ وزواجٍ شَرْعيٍ، وقد تَفْصِلُ الزواجَيْنِ فترة طويلةٌ، ولهذا فإنَّ إِنْجابَ (آنْ هاثاواي) مولودتَها بعدَ خمسةِ أشهُرٍ من زَواجِها الشرعيِّ المُسجَّلِ ليسَ فيه مَأْخَذٌ في عُرْفِ ذلكَ العَصْرِ.

وفي نهايةِ عامَيْنِ من ذلكَ الزواجِ رُزِقَ وِلْيم شكسبير من زَوْجتِه تلكَ **تَوْأَمَيْنِ، ولداً وبنتاً،** فأصبحَ وهو ما يَزالُ في الحاديةِ والعشرينَ رَبَّ أسْرَةٍ تنمو وتَزْدَادُ، وَوَجَدَ وليمُ نفسَه بحاجةٍ إلى مُوالاةِ

الكَدِّ والعَملِ المُضْني في ذلكَ الرِّيف المَعْزُولِ لِيَكْسَبَ رِزْقَ تلكَ **الأسْرَةِ التي أصْبَحَتْ عِبْءاً إضافياً على أبيهِ**، على الرَّغْمِ من سُوءِ أحوالِه الماديةِ ونُضُوبِ مَوارِدِ عَيْشِه؛ إلاّ أنَّ فُرَصَ العَملِ في سْتراتْفوردَ لم تكُنْ كبيرة، فكانَ عليهِ أنْ يُجَرِّبَ حَظَّه في أمَاكِنَ أخرى، بالهجرةِ إليها والعملِ فيها، لَوْلا ارتباطُه بِزَوْجَتِهِ وأَوْلادِهِ، وشُعورُه بِمَسْئوليّتهِ نحوَ أسْرَتِهِ التي يَخْشى أنْ يُغامِرَ باصطِحابها معَهُ لِلْبَحْثِ عَنْ لُقْمَةِ العَيْشِ، في دُروبٍ وَعْرةٍ من الكِفاحِ والتَشَرُّدِ والإرْتِزاقِ!

ولكنَّ ظُروفاً صَعْبَةً أحاطتْ بهِ يومَذاكَ ودفعَتْهُ إلى التَّعْجِيلِ في مُغادَرَةِ بَلْدَتِهِ الصَّغيرةِ..

— ٢ —

يَزْعُمُ الرواةُ أَنّ وليم شكسبير كانَ يَوْمَذاكَ يُصاحِبُ عَدَداً من الرِّفاقِ الشُبّانِ المَاجِنينَ المُسْتَهْتَرينَ، فَسَوَّلَتْ لهم أنفسُهم ذاتَ يومٍ أَنْ يَتَسَلَّلُوا إلى حَديقةِ أحدِ أثرياءِ المِنْطقةِ، السيد **تُوماس لُوسي**، على مَقْرُبةٍ من سترانْفوردَ، لِيَسْرِقُوا منها بعضَ غِزْلانِهِ، فَشَعَرَ بهم الحُرّاسُ وأَمْسَكُوا بِبَعْضِهم، وكانَ وليمُ شكسبيرُ في جُمْلَةِ مَنْ تَمَّ القبضُ عليهم، فَوُضِعَ في مَحْبِسِ الاتِّهامِ حيناً، وكانتْ هذه الحادثةُ ذاتَ أثرٍ كبيرٍ في شاعريةِ الشابِّ المَوْهوبِ، إذ فَجَّرتِ الباكورةَ الأولى من شِعرِه، **فأَنْشَأَ حِكايةً منظومةً يَهْجُو بها السيد**

لُوسي، انتقاماً لِمَا أصابَ وِلْيَمَ ورفاقَه من فضيحةِ السرقةِ والسَّجْنِ! وأثارَ هِجاء الشابِّ ثائرةَ السيدِ لوسي وغضبَه، وهو واحدٌ من أربابِ النُّفُوذِ في تلكَ المِنْطَقَةِ، فَشدَّدَ النَكِيرَ على الشاعرِ السَّارِقِ، فلم يَجِدْ وليمُ شكسبير آنذاكَ بُدّاً من الفِرارِ إلى لُندنَ، لِلنّجاةِ بنفسِه!

ويَزعُمُ رُواة آخرونَ أن شكسبيرَ غادرَ ستراتفوردْ يَومَذاك لِعدةِ أسبابٍ، أهمُّها إدراكُه أنَّ بلدتَه الصغيرةَ لا تَتَسِعُ لآمالِه الكبيرةِ ومواهبه المُتَفَتِّحةِ، وهو لَوْ بَقِيَ فيها يَكدُّ ويعملُ لِكَسْبِ لُقمةِ عيشِه وأسرتِهِ لَقَضى على مَواهِبه تلكَ قَضاء مُبْرَماً، فكانَ لا بُدَّ لهُ من النجاةِ بنفسِه، لِيَشُقَّ الطريقَ إلى المُستقبلِ الأفضلِ الذي يَحْلَمُ بهِ، فاتَّخذَ قرارَه الحاسمَ بمغادرةِ ستْراتْفوردَ، وقد واتَته الفُرصةُ الملائمةُ

عندما وَفَدَتْ **فرقةُ ايرل ليستر المسرحيةُ** على بَلْدَتِه لِتقديمِ بعضِ عُروضِها المسرحيةِ فيها، فاتَّصَلَ ببعضِ أفرادِها، فَدَعَوْهُ إلى العملِ معَهم لما شاهَدوا من مَوْهبتِه وبَراعتِه في الأَداءِ التمثيليِّ، فاستجابَ شكسبيرُ لدعوتِهم، وأقنعَ أسرتَهُ وأَهْلَهُ بالمُوافَقَةِ على **انْضِمامِ الشابِّ المُمَثِّل الهاوي إلى تلكَ الفرقةِ،** والعملِ فيها، وهكذا وضعَ الشابُّ الموهوبُ أقدامَه على بِدايةِ الطريقِ المُوصِلَةِ إلى مَجْدِه الأدبيِّ والمسرحيِّ العظيمِ..

ولكنَّ الدربَ الوَعْرَ إلى المجدِ ما يَزالُ طَويلاً أمامَ الشابِّ الشاعرِ المُمَثِّلِ، وعَلَينا أن نُتَابعَ خُطَا مَسيرتِهِ وكفاحِهِ، وهو يَجْهَدُ في تَذْليلِ العَقَباتِ، ويُحقِّقُ النجاحَ تِلْوَ النجاحِ، في صُعودِه العبقريِّ الدائبِ نحوَ قِمَّةِ مَجْدِهِ العظيمِ.

— ٣ —

وهُنا فَتْرَة أخرى تكتَنِفُها سَحَابةٌ من الغُموضِ في حياةِ شكسبيرَ، مُنذُ مُغادرتِه ستراتفوردَ عامَ ١٥٨٥ م إلى أَنْ أصبحَ في لُندنَ علماً بارِزاً من أَعلامِ الأدبِ والمسرحِ عامَ ١٥٩٢ م. سَنَواتٌ سَبْعٌ، بَيْنَ عامِه الحادي والعِشرينَ وعامِه الثامنِ والعشرينَ، شَهِدَتْ في البِداية التِحاقَهُ بالفرقةِ التمثيليةِ، وتَجْوالَهُ معها في رحلاتِها عَبْرَ **انكلترةَ** وبعضِ البلادِ الأوربيةِ مثل **هولاندةَ وبلجيكةَ**، قبلَ أَنْ يستقرَّ بِها المُقامُ في لُندنَ آخرَ المَطافِ!

بعضُ الرواياتِ تُصوِّرُ لنا **شكسبيرَ في بدايةِ نُزوحِهِ إلى لُندنَ، يعملُ في حِراسةِ الجيادِ** التي

يَعْهَدُ إليه بها أصحابُها خِلالَ حُضورهم حَفلاتِ المَسْرحِ: يقولُ الدكتور جُونْسُون ـ أَحدُ مُؤرِّخي حياةِ شكسبيرَ الأَوّلينَ: «كانتِ العَرَباتُ قليلةً في عَصْرِ اليزابيت، ولم يكُنْ منها ما يُسْتَأجَرُ، فكانَ أولئكَ الذين يَشْمَخونَ بأنُوفِهم، أو تبلُغُ بهم رِقّةُ الجَسَدِ والكَسَلِ حداً يَعْجزونَ معَهُ عنِ السَّيْرِ على أقدامِهم، يَمْتَطونَ ظهورَ الجيادِ إلى المَكانِ البعيدِ، يَقصدونَه لِلْعَمَلِ أو التنزُّهِ. ومن هؤلاء كثيرون كانوا يَذْهَبُونَ إلى مَسرحِ التمثيلِ على جيادِهم، فلما فَرَّ شكسبيرُ إلى لُندنَ، فازِعاً مِن تُهْمةِ السَّرِقَةِ، كانتْ أولى وَسائلِه في كَسْبِ عيشِه **أَنْ يَقِفَ عندَ بابِ المسرحِ لِيُمْسِكَ بجيادِ منْ لَمْ يكُن هم خَدَمٌ لِذلكَ**، ليُعِدُّوا الجيادَ إلى سادتِهم عند نهايةِ التمثيلِ، فتمكَّنَ شِكسبيرُ بعنايتِه وحُسْنِ استعدادِه أَنْ يُبَرِّزَ في

هذا العملِ، وما هو إلا أَن صارَ كُلُّ مُترجِّلٍ عن جَوادِه يَصيحُ: «وِلْيَم شيكسبير!» حتى أوشكَ ألا يُعْهَدَ بجوادٍ إلى سِواهُ ما دامَ حاضِراً؛ وكأنما كانَ ذلك أولَ بارِقةٍ لِلحَظِّ السعيدِ، فلما تكاثَرتِ الجيادُ على شكسبير استَأجَرَ صِبْيَةً يُعاونونَه، فإذا ما نادى صاحبُ الجَواد: شيكسبير! سارعَ الصبيُّ مِنْ هؤلاء قائلاً: «أنا معاونُه يا مولايَ!»؛ وانتقلَ شيكسبيرُ بعدئذٍ إلى مِهْنَةٍ أرفعَ شأناً، لكنْ ظلَّ خَدَمُ الجيادِ يحتفظونَ بهذه الكُنيةِ «مُعاون شيكسبير» ما بقيَ السادةُ يقصدون إلى المسرحِ بجيادِهم!».

ولكنَّ هذه الروايةَ عن الكِفاح الشاقِّ لشيكسبير في هذه الفترةِ القاسيةِ من حياتِه في لُندنَ لم تَسْلَمْ من النَّقْدِ والتَّفْنيدِ، وسواء صحَّتِ الروايةُ أو كَذَبَتْ، فقد **تمكَّنَ الشابُّ المُكافحُ من الانتقالِ**

إلى **داخلِ المسرح** بعدَ حينٍ: يُعاونُ المُلَقِّنَ أولاً، ثم يُعاونُ الممثلينَ عندَ اقترابِ دَوْرِ كُلِّ واحدٍ منهم، استعداداً لِظهورِهِ على المسرحِ، وأخيراً يُشاركُ في تمثيلِ بعضِ الأدوارِ بديلاً عن المُمثلينَ الغائبينَ، ومن هُنا تَبْرُزُ موهبتُه، ويَصعَدُ دَرَجاتِ النجاحِ قَفْزاً، ويعلوُ شأنُه مُمثِّلاً وكاتباً، **ويُصبحُ عَلَماً من أَعلامِ المسرحِ والأدبِ في عام ١٥٩٢ وهو في عامِه الثامنِ والعشرينَ**، ويشتدُّ التنافسُ بينَه وبينَ عددٍ من كِبارِ كُتّابِ المسرحِ والمؤلفينَ له، ويَتَمَكَّنُ بِقُوَّةِ شاعريتِهِ ومواهبه الأصيلةِ من تحقيقِ السَّبْقِ عليهم، وبينما كانَ بعضُهم يُنكِرُ على الشابِّ العبقريِّ قُدرتَهُ على صِياغَةِ الشعرِ الجَيِّدِ يُقدِّمُ شيكسبيرُ آيَتَه الشعريةَ الخالدةَ، وهي **قصيدتُه «فينُوسُ وأَدونيسُ»** في نيسان ١٥٩٣ م ويُهديها إلى أَحَدِ

النُّبلاء وهو «ايرل سَوثمبتن» طمَعاً في الفوزِ برعايتِه، ولم تكَدِ القصيدةُ تُنْشَرُ في الناسِ حتى أَقبلُوا على قراءتِها مُتَلَهِّفينَ، وطُبِعَتْ تِسْعَ مَراتٍ في أعوامٍ قليلةٍ، وكانَ نَجاحُها العظيمُ بُرْهاناً على عبقريةِ صاحِبها ونُبوغِهِ، كما كانَتْ رَدّاً مُتَحَدِّياً لجميعِ المُنافِسينَ، وفي العامِ التالي ـ ١٥٩٤ م ـ أخرجَ شاعرُنا العظيمُ دُرَّتَه الثانيةَ، وهي **قصيدةُ «اغتصابِ لوكريسَ»** وأهداها إلى حاميه النبيلِ «ايرل سوثمبتن» فأغدقَ عليهِ العطاء، وبدأ شيكسبيرُ مُنذُ ذلكَ الحينِ يعرفُ اليُسْرَ في حياتِهِ بعدَ طولِ الضِّيقِ والعُسْرِ، وبدأ يَجْني ثِمارَ كِفاحِه الشاقِّ الطويلِ، بعدَ سَنَواتٍ من الحاجةِ والفقرِ، **واتَّسَعَ الرزقُ بين يَدَيْهِ**، وتعدَّدتْ مواردُ كَسْبه: **من الكتابةِ والتأليفِ، ومن التمثيلِ المسرحيِّ، ومن**

المُشاركةِ في تأسيسِ بعضِ مَسارحِ لُندنَ وتمويلهِ، وفاضَ عليهِ المالُ. حتى تمكَّنَ من تَجْديدِ ثَروةِ أسرتِه في ستْراتفوردَ، وكانت صِلاتُه ببَلْدتِه وأَهلِهِ وأسرتِه هناكَ لا تَنْقَطعُ أبداً، فهو يُوالي زياراتِهِ للبلدةِ التي أصبحتْ تَفْخَرُ بابنِها البارِّ، والأنباءِ التي تَصِلُ إليها عن أمجادِهِ العظيمةِ في حُقولِ الشعرِ والأدبِ والمسرحِ والتمثيلِ.

الباب الثالث

شيكسبيرُ في أوْجِ مجدِهِ الأَدَبيِّ والفَنيِّ

— ١ —

يَقْسِمُ الباحثونَ حياةَ شكسبيرَ الفنيةَ إلى **أربعِ مراحِلَ مُتَمَيِّزَةٍ**، يَرْصُدونَ من خِلالها تَطوُّرَ فنِّه المسرحيِّ والعددَ الكبيرَ من الرواياتِ التي أَلَّفَها للمسرحِ، وخيرٌ لنا أن نسيرَ نحن معَ تلكَ المراحلِ لِنَشْهَدَ في كُلِّ واحدةٍ منها أهمَّ أعمالِ الشاعرِ العظيمِ وأهمَّ الأحداثِ في حياتِه فيها.

فأما **المرحلةُ الأولى** فهي التي تَنْتهي بعامِ ١٥٩٦ م وقد خُتِمتْ بفاجِعَةٍ في حياةِ شكسبيرَ وهي موتُ وَلَدِهِ الذكَرِ الوحيدِ **(هَامَنْت)** الذي جاوَزَ العاشرةَ من عُمرهِ بقليل وقَدْ خَلَّفَ مَوْتُ وَلَدِهِ في

قلبهِ جُرْحاً لا يَنْدَمِلُ! وهذه المرحلةُ تُمَثِّلُ كفاحَ الفَنّانِ العظيمِ لِتَثْبيتِ أَقدامِهِ في فَنِّه، وتحقيقِ آمالهِ الكبيرةِ في الوصولِ إلى القِمَّةِ التي يَحلمُ بها، وقد شَهِدْنا إخراجَه لِقصيدتيهِ (فينوسُ وأَدونيس) و(اغْتِصاب لُوكريس) في هذه المرحلةِ فدلَّلَ بهما على عبقريتهِ الشعريةِ الخِصْبَةِ، أما في تأليفِهِ المسرحيِّ لهذه المرحلةِ فالباحثونَ يُقرِّرون أنَّ شكسبيرَ لم يكَدْ يَصْنَعُ أكثرَ من تَنْقيحِ ما وَصَلَ إليهِ من انتاجِ غيرهِ، مُسْتَغِلاً قُدرته الشعريةَ الفائقةَ على التعبيرِ، وتَمَكُّنَهُ من صياغةِ الفكرةِ الواحدةِ في عباراتٍ كثيرةٍ مُخْتَلِفَةٍ، مُسْتَخدِماً ألوانَ الصُّوَرِ البيانيةِ والبديعيةِ لتجميلِ العبارةِ وإِحْكامِ بِنائِها، **فمِن رواياتِ هذه المرحلةِ:**

«تَيْتَسْ أندرونكسْ»

و «هَنْري السادسُ» (بأجزائِها الثلاثةِ)
و «ملْهاةُ الأخطاء» (أو كوميديا الأخطاء)
و «جُهدُ الحبِّ الضائعُ»
و «حُلمُ ليلةٍ في مُنتصفِ الصيفِ»
و «ريتشاردُ الثالثُ»
و «سيّدانِ من فيرونا»
و «رُوميو وجُولييتُ»
و «ريتشاردُ الثاني»
و «الملكُ جُون»

ولمّا كان انتاجُ هذه المرحلةِ من المسرحياتِ مُتأثِّراً بحماسةِ الشبابِ وتَدَفُّقِهِ العاطفيِّ فقد جاءتِ الرواياتُ **فَيّاضَةً بالعاطفةِ، والعباراتِ الرنّانةِ،** وفيها الدّليلُ على تمكُّنِ شكسبيرَ في مُسْتَهَلِّ حياتِه الأدبيةِ من إحْكامِ الصياغةِ وقُوةِ التعبيرِ، وفيها

الدليلُ أيضاً على مَيْلِ الشاعرِ العظيمِ إلى استعادةِ مَوضُوعِ مسرحياتهِ من التاريخِ، وتاريخِ بلادهِ ـ انكلترةَ ـ بِصورةٍ خاصَّةٍ، وسَيُكْثِرُ شكسبيرُ من انتاجِ المسرحياتِ التاريخيةِ في المراحلِ القادمةِ.

وأما **المرحلةُ الثانيةُ** فهي التي تمتدُّ من عام ١٥٩٦ م إلى عام ١٦٠٢ م وقد خُتِمَتْ بِوَفاةِ والدِ الشاعرِ، جُون شيكسبير، وكان وِلْيَم شديدَ البرِّ بأبيهِ، وفي مَطلَعِ هذه المَرحَلَةِ أرادَ الشاعرُ أن يَرْفَعَ من شأنِ أبيهِ في ستراتفوردَ فابتاعَ له **شارَةَ الشَّرَف**، وكانتِ الدولةُ لا تبيعُ تلكَ الشاراتِ إلا لِسُراةِ القوم وأعيانِهم، وكانَ المالُ قد فاضَ في يَدَي الشاعرِ من مَدْخُولِهِ الكبيرِ، من التأليفِ والتمثيلِ وتوظيفِ ما تجمَّع منه في الأعْمالِ الأخرى، فاشترى شيكسبيرُ بعضَ الدُّورِ الفاخرةِ في بَلْدَتِهِ، وحَرَصَ على أنْ

يجعلَ أباه فيها في زُمْرَةِ السّادَةِ من ذَوي الثَّراءِ، وكانَ ذلكَ كلُّه من أَحْلامِ صِباهُ: أَنْ يَرُدَّ لأَبيهِ مكانتَه وثَرْوَتَهُ بعدَ أنْ توالتْ على أسْرته المِحَنُ، ووقعتْ فريسةً لِضِّيْقِ الماديِّ والحِرْمانِ، بعدَ أنْ كانتْ من مُلاَّكِ الأَرْضِ وأعيانِ تلكَ المِنْطَقَةِ المُوسِرين؛ وقدِ اشْتَرى شيكسبيرُ في ستْراتفوردَ ـ حيثُ زوجُه وابنتاهُ سُوزانا وجُوديث ـ **أفخمَ دارٍ في البلدةِ**، وقدْ بقيتْ هذه الدارُ إلى اليوم قائمةً، يَحُجُّ إليها الزّائرون من أَصْقاع الدُّنْيا، وفي مُسْتَهَلِّ هذهِ المرحلةِ الثانيةِ من حياةِ وليم شيكسبيرَ الفنّيةِ أَخْرَجَ «**تاجرَ البُنْدُقِيَّةِ**» وهي أكبرُ دليلٍ على بُلوغِه أَوْجَ فَنِّه المسرحيِّ، ففيها براعةُ العَبْقَرِيِّ المُبَرِّزِ المَوْهُوبِ، وبعدَ إخراجِ هذه المَسرحيةِ عامَ ١٥٩٦ م قدَّرَتِ الدولةُ موهبتَه وأنْعَمَتْ عليهِ بِلَقَبِ

(جنْتِلْمان) تقديراً لِفنه وإكْباراً لِجْهودِهِ وتَشْريفاً له

من رواياتِ هذهِ المرحلةِ:

« هنري الرابعْ » بِجْزأيْها

و « زَوْجاتْ ونْدسور المَرِحاتْ »

و « هَنري الخامسْ »

و « جَعْجَعةٌ ولا طِحْنٌ ! »

و « الليلةٌ الثانيةَ عشرةَ »

و « كما تْريدُها »

و « تَرويضْ ا لنَّمِرَةِ »

و « خيرٌ كْلُّ ما يَنْتهي بخيرٍ »

والمسرحياتْ الخمسُ الأخيرةْ كْلُّها مَلاه مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ، والمسرحياتْ الثلاثْ الأولى يَعْدُّها النقادُ من التمثيلياتِ التي تَجْمَعْ بين المَأساةِ والمَلْهاةِ، أَوْ هي من المآسي المُضْحِكَةِ، وقد عَمَدَ

شيكسبيرُ إلى ذلكَ ليُخَفِّفَ مِنْ حِدَّةِ مآسيهِ بمَشهدٍ هزليٍّ يَكْسِرُ بهِ حِدَّةَ التَوتُّرِ، وعُنْصُرُ المَلْهاةِ في هذ المسرحياتِ الثلاثِ يقومُ على شخصيَّةٍ كوميديةٍ **هي شخصيةُ (فُولسْتافُ) وهي أَبْرَزُ شخصيةٍ كوميديةٍ خَلَقَتْها عبقريةُ شيكسبيرَ،** وهي نَموذَجٌ لما يُسَمِّيهِ النقادُ اليومَ «كوُميديا الطّبائِعِ» وهيَ ضَرْبٌ من الكوميديا يقومُ على السُّخْرِيةِ من الشخصيةِ الانسانيةِ المُشَوَّهَةِ منَ الدَّاخِلِ، بِحُكْمِ تكْوينِها الخاطىءِ نَفْسِيّاً وعَقْلِياً؛ وعندما شاهَدتِ الملكةُ اليزابيت مسرحيةَ «زَوْجاتِ ونْدسور المرحاتِ» أعْجبتْ كُلَّ الاعجابِ بشخصيةِ «السيرجُون فُولُسْتاف» فيها، وتَصَرُّفاتِه الأنانيةِ المُنافيةِ لِكُلِّ أخلاقٍ! وطَلَبتِ المِلكةُ من شيكسبيرَ أن يُصَوِّر لها هذه الشخصيةَ التي طَغَتْ عليها الأنانيةُ

طُغياناً جارِفاً من جَديدٍ وقَدْ وَقَعَ فولستاف في شِباكِ الحُبِّ، ليرى الناسُ كيفَ يصنعُ العاشقُ الأنانيُّ، والعِشْقُ يَتَطَلَّبُ التضحية والإيثارَ ونُكْران الذاتِ، والعطاءَ دُون مُقابلٍ في سبيلِ نَيْلِ رِضى الحبيبةِ!

وهكذا ظَفِرَ شيكسبيرُ بإعجابِ مليكةِ البلادِ وتقديرِها، وصادقَهُ شُيوخُ الأدبِ وأعلامُه في عَصْرِهِ، وفاضَ كَسْبُهُ وعَظُمَتْ ثَروتُه، وأصبحتْ مسرحياتُه تُمَثِّلُ صورة للازدهارِ المسرحيِّ العظيمِ في عَصرِه.

ـ ٢ ـ

والمرحلةُ الثالثةُ تَقَعُ بينَ عامَيْ ١٦٠٢ و ١٦٠٨ م وقد [illegible] بوفاةِ أمِّ الشاعرِ كما ابتَدَأت بوَفاةِ أبيهِ، وانتاجُ هذه المرحلةِ يُمثِّلُ اضْطِرامَ نفسِ الشاعِرِ بلوعةِ والحُزْنِ، وقد تمكَّنَ شيكسبيرُ من تقديمِ عَدَدٍ منَ المآسي العظيمةِ في هذهِ المرحلةِ، بلَغَ فيها أَوْجَ سُمُوِّهِ الفنيِّ، **ومن أَبْرَزِها:**

« هَامْلِتْ »

و « يُوليوسُ قيصر »

و « كَيْلٌ بِكَيْلٍ »

و « أنْطونيو وكليوبَاتْرة »

و « كوريو لانْس »

و «ترويلس وكرسْدا»

و «تَيْمونُ الأَثيني»

و «عُطَـيْل»

و «ماكْبث»

و «الملكُ لِيْر»

والمآسي الثلاثُ الأخيرةُ في حُكْمِ النُقّادِ هي أعظمُ مآسي شيكسبيرَ كُلِّها، وقد أرادَ أن يُصَوِّرَ فيها ما تُخلِّفُه الخَطايا والجَرائمُ في نُفوسِ مُرتكبيها من عَذابٍ أليمٍ وشقاء مُقيمٍ، كما أرادَ أن يُبَيِّنَ في جَلاء رُوحَ الانتقامِ التي يَحْمِلُها كُلُّ إنسان بينَ جَوانِحِه، وقد تمكَّنَ شيكسبيرُ من **تصويرِ أَعْماقِ النفسِ الانسانيةِ تَصْويراً بَلَغَ فيه القِمَّةَ**، وبذلكَ خَلَقَ لِلنّاسِ تلك المآسي الرائعةَ التي يَتكَفَّلُ سُموُّها الفنيُّ بِخُلُودِها على الدهر.

وكثيرٌ من النقّادِ يَعُدُّونَ مأساةَ (عُطَيْلٍ) أَعْظَمَ ما بَلَغَهُ فنُّ شيكسبير المسرحيُّ رِفْعةً وقُوّة، وهي مأساة كاملةٌ، مُثِّلَتْ أولَ مرةٍ عامَ ١٦٠٤ على مسرحِ القصرِ الملكيِّ، وموضوعُها الغَيْرةُ العَمْياء وتَدْمِيرُها لِلْحياةِ الزَّوْجيَّةِ، **وخُلاصَتُها** بإيجازٍ أنَّ **«عُطَيْل»** جُنديٌّ شُجاعٌ، بَسِيطُ الخُلُقِ ساذَجُ النفسِ، صريحٌ نبيلٌ، وقد أَحَبّ **«دَيْدَمُونَةَ»** الفاتنةَ الجميلةَ، ابنةَ شيخِ البُنْدُقيَّةِ وأحبَّتْهُ، وتَزَوَّجَ منها على كُرْهٍ من أبيها لِهذا الزَّواجِ، وكانَ حبُّهما سَامِياً ونَقِيّاً، فلم تَشُبْهُ شائبةٌ، وخَلَتْ حياتُهما الزوجيةُ من المُنَغِّصات، حتى **تمكَّنَ الواشي (ياجو) من إفْسادِ ما بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ**، فدَسَّ في عقلِ عُطَيْل الساذَجِ الارْتِيابَ في زوجتِه الطاهرةِ، وأثارَ الشُّكوكَ عليها في نَفْسِ الزَّوْجِ الغَيْورِ، وانتهى الأمرُ بِوُقوعِ الكارثةِ، **فَقَتَلَ**

عُطَيْل زوجتَه التي يُحبُّها، وبعدَ أن أزْهَقَ روحَها تبيَّنَ له وَجْهُ الحقِّ، ولم يَجِدْ وَسيلةً للتكفيرِ عن خطئِه إلاَّ بأَنْ يَقْتُلَ نفسَه! تلكَ هي القصةُ مُوجزة، وقد استعارَها شيكسبيرُ من كتابِ (هيكاتوميني) للكاتبِ الايطاليِّ جيرالدي سنثيو، الذي نُشِرَ وتُرجِمَ إلى عددٍ من اللُّغاتِ الأوربيةِ، ومنها الانكليزيةُ، في أواخرِ القرنِ السادسَ عشرَ، فكانتِ القصةُ في مُتناولِ يدِ شكسبيرَ يومَذاكَ، وقد حافَظَ على هَيْكَلِها العامِّ، وأضافَ إليها بعضَ التَّعْديلاتِ، وبَنى شَخصيّةَ الزوجِ الغَيُورِ فيها بناء دِرامياً أصبحتْ شخصيةُ عُطَيْل فيهِ بَطَلاً تراجيدياً يَحْزَنُ المْشاهِدُ لِمَأساتِهِ ويَتَّخذُ منها مَوْطِناً لِلْعِبْرَةِ والدَّرْسِ، إذِ استطاعَ شيكسبيرُ أنْ يَسْمُوَ في مسرحيتِهِ ويجعلَ من موضوعِها دراسةً عميقةً في

الغَيْرَةِ الزوجيةِ وأَثَرِها المُدمِّرِ؛ وشِعْرُ شيكسبيرَ في هذه المسرحيةِ يبلُغُ القِمَّةَ في التصويرِ والعاطفةِ وتَقَلُّباتِ النفسِ الانسانيةِ في حالَتَي الرِضى والغضبِ، والسُّكونِ والهِيَاجِ، والهُدوءِ والثَّوْرةِ.

وفي أواخرِ هذهِ المرحلةِ من حياةِ شيكسبيرَ تَزَوَّجَتْ كُبرى بِنْتَيْهِ (سُوزَانا) من طَبيبٍ مَشْهورٍ في ستراتفوردَ، وستكونُ ابنتُها **(اليزابيثُ)** من هذا الزَّوْجِ **الحفيدةَ الوحيدةَ لِوِلْيَمَ شكسبير، والتي سَيَؤولُ إليها إرثُهُ الكبيرُ وأملاكُه**، كما سَنَرى فيما بعدُ.

ثُمَّ تَجيءُ **المَرحلةُ الرابعةُ والأخيرةُ** من حياةِ شكسبيرَ الفنيةِ وتمتدُّ من عامِ ١٦٠٨ إلى عام ١٦١٣ م قبلَ أن يُغادِر لُندنَ عائداً إلى بلدتِه ستراتفوردَ لِيَقْضِيَ سنواتِه الأخيرة فيها.

ومسرحياتُ هذه المرحلةِ هي:

« بركليس »

و « سِمْبلين »

و « العاصِفَةُ »

و « قصةُ الشتاء »

و « هنري الثامنُ »

وكان الشاعرُ العظيمْ خِلالَ هذه السنواتِ الخمسِ الأخيرةِ من حياتِه في لُندنَ قد انْزَاحَ عن صَدْرِهِ ما كانَ يَجثُمُ عليهِ من هُمومٍ، فَراحَ يعقدُ صِلاَتِ الوُدِّ والمحبةِ معَ النّاسِ، ويُحاوِلُ أنْ يَستعيدَ ما كانَ لهُ في صِباه من مَرَحٍ، ويَجْعلَ شخصياتِ ملاهيه الأخيرةِ تضحكُ من أَعْمَاقِ القلبِ، ولكنَّهُ لم يستَطِعْ ذلكَ، واقْتَصَرَتِ الضَّحِكاتُ على ابتسامات شاحبةٍ تُخفي وراءها قلْباً أترعتْهُ الحادثاتُ وعَصَرتْه الأشجانُ.

وفي عام ١٦١٣ كانَ الشاعرُ الأعظمُ قد أتمَّ **ستاً وثلاثينَ مسرحيةً**، وهو لم يَتِمَّ السابعةَ والأربعينَ من حياتِهِ الخَصِيبةِ، فكان **يُؤلفُ مسرحيتينِ تقريباً في كُلِّ عامٍ من أعوامِ حياتِه في لُنْدنَ**، وقد بذلَ في التأليفِ والتمثيلِ والإشرافِ على إخْراجِ مَسْرحياتِهِ جُهوداً مُضْنِيَةً، فأَحَسَّ العبقريُّ بعدَ ذلكَ بحاجتِهِ إلى الراحةِ، **فآثَرَ أنْ يعودَ إلى بلدتِه الصغيرةِ**، ليَعيشَ فيها مع زَوْجَتِهِ وابنتَيْهِ، ويُخْلِدَ إلى نَفْسِه، مُكْتَفِياً بما حَقَقَ من نجاحٍ ماديٍّ وأدبيٍّ عظيمٍ، فَلْنَعُدْ مع الشاعرِ العبقريِّ إلى ستراتفوردَ لِنَشْهَدَ سنواتِ حياتِه الأخيرةَ في نهايةِ مَطافِهِ الطَويلِ.

الباب الرابع

شيكسبيرُ في نهايةِ المَطَافِ

ـ ١ ـ

عادَ شيكسبيرُ إلى ستراتفوردَ بعدَ أَنْ أَصَابَ منَ النجاحِ والمجدِ والثروةِ ما يكفيهِ، وآنَ لَهُ أَنْ يستريحَ بعدَ طُولِ كَدٍّ وسَعْيٍ، فأقامَ في بيتِه الذي اشتَراه ومعهُ زَوْجَتُه (آن) وابنتُه الصُّغْرى (جُوديث) ولكنَّ هذه تزَوَّجَتْ بعدَ حينٍ من رُجوعِ أبيها، من السيد (تُوماس كويني) وهو ابنُ رَجُلٍ من تُجّارِ ستراتفوردَ، يتَّجِرُ بالخُمورِ، وأصبحَ شيكسبيرُ يَقْضي أيّامَه مع زَوْجتِه، مُتفرِّغاً للإِشْرافِ على أمْلاكِهِ وزيارةِ أَهْلِهِ وجيرانِه.. **وقدِ ٱنْقَطَعَ العبقريُّ عن الكتابَةِ نهائياً**، وقد كفَاهُ ما أَعْطى من نِتاجٍ خِصْبٍ يَكْفُلُ لِصاحِبه المَجْدَ والخُلودَ.

ولعلَّ أكبرَ ما كانَ يشغَلُ بالَ شيكسبرَ خِلالَ السنواتِ الثلاثِ الأخيرةِ من حياتِه، **مسألةُ إرْثه**، فهو بعدَ زوَاجِ ابنتِه الثانيةِ كَتَبَ وصيةً تَرَكَ بِمَوْجِبها مُعظَمَ أملاكِه إلى ابنتِه الكُبرى سُوزانا، ثُمَّ تكونُ لابنِها إنْ أنْجَبَتْ ولداً ذَكَراً، أو لابنِ أخْتِها جُوديث إن كانَ لها ابنٌ، فإن لم يكُن في حَفَدَتِهِ جميعاً أحدٌ من الذُّكورِ آلَ الإرْث إلى اليزابيتَ ابنةِ سُوزانا، وهذا ما حَدَثَ فقد انتهتْ ثروةُ الشاعرِ العبقريِّ إلى حفيدتِه تلكَ، وبِمَوْتِها انتهتْ أسْرَةُ شيكسبيرَ، وتبعثرتْ أمْلاكُهُ! أما الزوجةُ (آن) فليسَ لها في وصِيَّتِهِ غيرُ سريرٍ من أَسِرَّةِ الدّارِ، ولم يكُنْ أفْضَلَها، أوْصى بهِ الزوجُ لها، ويرى الباحثونَ في ذلكَ دليلاً على أنَّ العَلاقةَ بين الزوجينِ لم تكُنْ حَسَنَةً في المرحلةِ الأخيرةِ من حياتِهما الزوجيةِ.

كان شيكسبيرُ في ستراتفوردَ يقضي **شَيْخُوخةً هادئةً هانئةً**، وكان إشرافُه على أملاكِه وإدارةِ المزرعةِ التي اشتراها قبلَ عَقْدٍ من السِّنينَ، ومِساحتُها ١٢٧ فداناً، لا يَشْغَلُ وقتَه كُلَّه، وكانَ يَطِيبُ له أن **يتلَقّى زياراتٍ من بعضِ أصدقائه من الأدباءِ والأَعْلامِ، ويَرْوِي الرواةُ أنَّ اثنينِ من أَعْلامِ أدَباء عَصْرِهِ وهما «بنْ جُونْسُون»** و «**مِيخائيلُ درايْتُون**» قَدِما إلى ستراتفوردَ لِزيارتِه ذاتَ يَوْمٍ، فاحتفَلَ بزيارتِهما، وقضى الثلاثةُ ليلتَهم إلى الصباحِ في شَرَابٍ مُتَّصِلٍ، فَسَقَطَ الشاعِرُ مَحْمُوماً، من الإِفْراطِ في السُّكْرِ، وقضى أيّاماً تحت وَطْأةِ الحُمّى، إلى أنْ أَسْلَمَ الرُّوحَ إلى بارِئها في الثالثِ والعشرينَ من نيسان عامَ ١٦١٦، في نفسِ اليومِ الذي شَهِدَ مَوْلِدَهُ، وقد أتمَ عامَه الثانيَ

والخمسينَ، فَدُفِنَ في كنيسةِ ستراتفوردَ، ونُقِشَتْ على قَبْرِه مَقْطُوعةٌ شعريةٌ كانَ قد أَعَدَّها بنفسِه لذلكَ، وقد جاء فيها:

«أيُّها الصديقُ الكريمُ، ناشدتكَ اللهَ
ألاّ تُزيحَ عني التُرابَ!
باركَ اللهُ من يَصُونُ هذه الأحجارَ
والـلَّعْنَةُ على مَنْ يُزَحْزِحُ رُفاتي!»

وهذه اللعنةُ التي تُهَدِّدُ كُلَّ من يُحَرِّكُ رُفَاتَ العبقريِّ هيَ التي حَفِظَـتْ رَمِيمَهُ في قَبْرِهِ، وحالَتْ دُونَ نَقْلِ رُفاتِهِ إلى مَقْبَرَةِ العُظَماء.

ـ ٢ ـ

وعندما عَمَدَتْ انكلترةُ إلى **الاحتفالِ بمُرورِ أربعِمائةِ عامٍ على ميلادِ شاعرِها الأعظمِ شيكسبيرَ** أقامتْ مِهْرَجاناً عظيماً خلالَ شهر نيسان ١٩٦٤ حضرَهُ مندوبونَ يُمثِّلُونَ أكثرَ دُوَلِ العالمِ، وفي صباحِ الثالثِ والعشرينَ من هذا الشهرِ، وهو يومُ الذكرى، تَجمَّعَ **شُعَراء أكثرَ من مائةِ دولةٍ** مع عَدَدٍ كبيرٍ من رِجالات انكلترة وغيرِها عندَ مَسْرَحِ شيكسبيرَ في مدينةِ ستراتفوردَ، وحَمَلُوا أكاليلَ الزُّهُورِ في مَوْكِبٍ مَهيبٍ حاشِدٍ، مَشْياً على الأَقْدام، حتى وَصَلُوا إلى **البيتِ الذي وُلِدَ فيهِ الشاعرُ العبقريُّ في شارع (هنلي)** ثمَّ اتّجهوا إلى كَنِيسَةِ

(هُولى ترينيتي) لِيقِفوا خاشِعينَ أمامَ ضريحِهِ، ووَضَعُوا الأكاليلَ على قبرِهِ، ونَثَرُوا فَوْقَهُ الأزهارَ، وأقيمتْ مأدُبَةٌ كُبرى للضُّيوفِ الوافدينَ، تُلِيَتْ خِلالَها **رسالةُ الملِكة اليزابيتَ الثانيةِ في الثناءِ على الشاعرِ العبقريِّ** وتمجيدِه، وبعدَ الغَداء افتتحَ زوجُ المِلكة **مُتْحَفَ شيكسبيرَ** الذي أسَّسَ لهذه المناسبةِ، بجوارِ البيتِ الذي وُلِدَ فيهِ الشاعرُ الأعظم، وبلَغَتْ تكاليفُ المُتْحَفِ رُبْعَ مليون جُنَيْه، وظلَّتِ الجماهيرُ طَوالَ ذلكَ اليوم مُتحشدةً على جوانبِ الطُّرُقاتِ، لِتَحيَّةِ الموكبِ عند مُروره فيها، وعند المساءِ حَضَرَ الضيوفُ الوافدونَ إلى مسرحِ شيكسبيرَ التذكاريِّ، ليَشْهَدُوا تمثيلَ إحدى روائعِه المسرحيةِ، وأصدرتِ الدولةُ **طابَعاً تَذْكارياً** تَخليداً لهذه المناسبة، **يحملُ صُورةَ شيكسبير مع مَلِكةِ انجلترة.**

والحقُّ أنَّ الانكليزَ مُنذُ مائةِ عامٍ دائبونَ على الاحتفالِ بشاعرِهم الخالدِ، في الثالثِ والعشرينَ من شَهْرِ نيسان في كلِّ عامٍ، يقُومونَ بموكبٍ كبيرٍ، يسيرُ فيه سُفَراء الدُّوَلِ، مِنْ مَسْرَحِ شيكسبيرَ في ستراتفوردَ إلى بيتِه، وقدْ أصبحَ هذا الموكبُ مَسِيرَةً تقليديةً سَنَويَّةً، تخليداً لِعبقريةِ شيكسبيرَ، وتكريماً لِذِكْراهُ الحيةِ في نُفوسِ قُرَّاءِ أدبِهِ الخالدِ.

إنَّ مكانَة شيكسبيرَ عندَ الانكليزِ لا تَعْدِلُها مَكانةٌ، ويقول كَارْلَيْلُ: «تُرى لو سُئِلَ الانكليزُ: أيَّ الأمرينِ تُفَضِّلونَ: أَتَتَخَلَّوْنَ عن امبراطوريتِكم في الهندِ، أمْ عن شاعرِكم شيكسبيرَ؟» ويُجيبُ كَارْلَيْلُ: «سواءٌ لدينا أكانتْ لنَا امبراطوريةٌ هنديةٌ أمْ لم تكُنْ، فَلَنْ يُغنِيَنا شيءٌ عن شِيكسبيرَ!



الباب الخامس

صفحاتٌ من روائعِ شيكسبير الخالدةِ

— ١ —

نُقَدِّمُ في هذا البابِ صورتَيْنِ مُوجَزَتَيْنِ لمسرحيتَيْنِ من روائعِ شيكسبيرَ الخالدةِ، وهُما **(تاجرُ البُندقيةِ)** و **(الملكُ ليرُ)** وكلُّ أَمَلِنا أنْ يَجِدَ فيهما القارىء العزيزُ ما يُغريه بِمُتابعةِ قراءةِ مسرحياتِ شيكسبيرَ الكثيرةِ الأخرى، لأَنَّ في مُؤلفاتِ هذا الشاعرِ العبقريِّ العظيمِ دُنيا حافلةً بالإفادةِ والإمْتاعِ، إذ كان شيكسبيرُ رَجُلاً فَذْاً، يُمَثِّلُ بِمَواهِبِه النادرةِ عالَماً بأَسْرِهِ، وأدبُه الخصيبُ **مِرآة للطبيعةِ والناسِ في عَصْرِهِ**، وكانتِ الادارةُ الثقافيةُ في جامعةِ الدُّوَلِ العربيةِ — لِحُسنِ حَظِّ

القارىءِ العربيّ ــ قد عَمَدَتْ إلى **تَرجمةِ أعمالِ شيكسبيرَ الكاملةِ**، وتولّى الترجمةَ عددٌ من خِيرة الأَكْفِياء من المُترجِمينَ، وبذلكَ أصبحتْ مَسْرَحياتُ شيكسبيرَ في مُتناوَلِ يدِ القارىء العربيِّ، في لُغةٍ سليمةٍ وإخْراجٍ أَنيقٍ.

ومسرحيةُ **(تاجرِ البُندقيةِ)** من أَشهرِ مسرحياتِ شيكسبيرَ، وكنا قَدّمنا أنَّه أخرجَها حواليْ عامِ ١٥٩٦ م فَلَقِيَتْ إقْبالاً عظيماً، وعَدَّها النقّادُ دليلاً على بُلوغِ الشاعرِ الكبيرِ أَوْجَ فنِّه المسرحيِّ فيها، ولَقِيَ شيكسبيرُ بعدَ إخْراجِها من الدولةِ تَشْريفاً وتكريماً واعْتِرافاً بموهبتِه ودَوْرِهِ في ازدهارِ الفنِّ المسرحيِّ في عَصْرِهِ.

ومسرحيةُ (تاجرِ البُندقيةِ) تُمثِّلُ **جَشَعَ أحدِ المُرابينَ اليهودِ في مَدينةِ البُندقيةِ بإيطاليةَ**، كما

تُصوِّرُ حِقْدَ هذا المُرابي اليَهوديِّ على التُجّارِ الشُرَفاء الذين كانوا يَمُدُّونَ يدَ العَوْنِ إلى كُلِّ منْ تَدْفَعُهُ الحاجةُ إلى الاقْتراضِ من اليَهُوديِّ بالرِّبا الفَاحِشِ، ومن هؤلاء التجارِ الشُرَفاء كانَ أنطونيو التاجرُ البندقيُّ الواسعُ الثَّرَاء، والطيِّبُ القلبِ، والذي كانَ يحولُ دونَ أَطْـماعِ المُرابي اليهوديِّ (**شَايْلُوكَ**) بإنقاذِ كُلِّ فَريسةٍ من المُحتاجينَ، بتقديمِ القُروضِ دُونَ رِباً إليها، مما يَزيدُ في سُخْطِ (**شَايْلُوكَ**) وحِقْدِه على انطونيو، ويجعلُه يَتربَّصُ به الفُرَصَ لِينتَقِمَ منه.

وأخيراً جاءتِ الفُرصةُ المناسبةُ للانتقامِ، فكَشَفَ المُرابي اليهوديُّ الحاقدُ عن كُلِّ ما في نفسِه من ضغائنَ على أنطونيو، والقصةُ هنا بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الشَّرْحِ والتفصيلِ: فقد كانَ لأنطونيو في البُندقية صديقٌ يُحبُّه ويُؤثرُه، هو (**باسانيو**)، وكانَ

كلٌ من الصديقينِ يُخلِصُ للآخرِ إخلاصاً لا حَدَّ له، حتى ضُرِبَ المثلُ بما بينَهما من إخاء ووفاء، وقد كانَ (باسانيو) شاباً نبيلاً نَشَأَ في أسْرَةٍ غنيةٍ مَجيدةٍ، ولكنه أنفقَ كُلَّ ثروتِهِ في مُساعدةِ المُحتاجينَ والبائسينَ، وعندما أَحَبَّ (بُورْشِيا) الوارثةَ المُثْرِيَةَ المُقيمةَ في (بِلْمُونْت) وفازَ بخُطْبَتِها ورضاها وحبِّها، لم يجِدْ في يدِهِ من المالِ ما يُعينُه على الإنفاقِ، فالتجأَ إلى صديقِهِ (انطونيو) التاجرِ المُوسِرِ، الذي كانت سُفُنُ تجارَتِهِ تَذْرَعُ البحارَ وتحملُ إليه الأرباحَ من مَوَانِيءِ العالَمِ، ولم يكُنْ أنطونيو لِيَبْخَلَ على صديقِهِ (باسَانيو) بما يَطْلُبُ، ولكنَّ ثروتَه كلَّها كانتْ يومَذاكَ في مَراكبِهِ التجاريةِ التي يَنتظرُ عَوْدَتَها إلى البُنْدُقيَّةِ، غيرَ أنَّ حاجةَ (باسانيو) لم تكُن لِتَحْتَمِلَ التريُّثَ والتأجيلَ، فعمدَ

أنطونيو إلى الاستدانةِ لِيَحْصَلَ على ما يُريدُ صديقُه من مالٍ، **ولم يكُن أمامَ الصديقَيْنِ بُدٌّ من اللُّجوء إلى الشَيخِ اليهوديِّ المُرابي (شَايْلُوكَ) للاقتراضِ منه،** وهما اللذان كانا يكْرَهانِ هذا الرجلَ الشرِّيرَ البخيلَ ويَمْقُتانِهِ، ولا يذكُرانِ اسمَهُ إلا باللَّعْنَةِ والاحتقارِ!

ولكن حاجةَ (باسانيو) إلى المالِ الآنَ قاهِرةٌ، والأبوابُ مسدودةَ في وَجهِهِ، وقد تلَقّى الشيخُ المُرابي طلَبَ (باسانيو) باقتراضِ ثلاثةِ آلافِ دُوقيَّةٍ (عُمْلَة دُوق البُندقيةِ) بابتسامةٍ ماكرةٍ، وسأله كيفَ يَقْدِرُ على سَدادِ هذا القرض، فأجابَهُ:

ـــ إنَّ صديقي أنطونيو يَكْفُلُ القَرْضَ، وهو يَتَعَهَّدُ لك بِرَدِّهِ قبلَ أن تنقضيَ أشهرٌ ثلاثةٌ!

وعندما حضر أنطونيو إلى بيت (شَايْلوكَ) قال له

الشيخُ اليهوديُّ الماكرُ:

ــ إني مُستعدٌ لِتَسْلِيفِكَ المالَ بلا رِبْحٍ، ولكنّي أحِبُّ أن أشترطَ شَرْطاً، مِنْ قَبيل المُداعبةِ والمُزاحِ، ولَنْ ترفُضَهُ ما دُمْتَ مُوقناً بِقُدرتِك على الوفاءِ بالدَّيْنِ في المَوْعِدِ المُحدَّدِ!

وأجابَ أنطونيو دُونَ تَرَدُّدٍ:

ــ اشْتَرِطْ ما تُريدُ، فأنا واثقٌ كُلَّ الثقةِ من قُدرتي على الوَفاءِ بالدَّيْنِ قبلَ انقضاءِ ثلاثةِ أشْهُرٍ!

وقال (شَايْلُوكُ) عندَ ذاكَ:

ــ إني أَشْتَرِطُ أن تُعْطِيَنِي رِطْلاً من لَحْمِك، إذا تأخَّرْتَ عن سَدِّ الدَّيْنِ في الوقتِ المُحَدَّدِ!

ودُهِشَ الصديقانِ لهذا الشَّرْطِ العَجيبِ، وعَجِبا من رَغْبَةِ الشيخِ اليهوديِّ في مثلِ هذا المُزاحِ، وأعلنَ

(باسانيو) رِفْضهُ، ولكنّ (أنطونيو) حسم الأمر بتوْقيع الصكّ، وأعْلن لِصديقِه أنّ سُفْنهُ ستعودُ إلى البُندقيةِ قبل أنْ ينقضي شهرانِ، وابتهج (شايْلوكْ) مُعْلِناً أنّه لمْ يقْصِدْ إلا الدُّعابة البريئة والتسلية الخالصةَ، وأنّه عَمَدَ إلى تقديمِ القرْض إلى الصديقين بلا رِبا، لِيَفْوزَ بحُبِّهما ويستميلَ قَلْبَيْهما إليه!!

وهكذا وَقَّعَ (أنطونيو) عَقْد الدَّيْنِ، ولم يُقدِّرْ عواقبَ مُوافقتِهِ تقديراً صَحيحاً! وحَمَلَ (باسّانيو) المالَ لِيُسافرَ إلى (بِلْمُونْتَ) وخطيبتِه الحسناءِ (بُورْشيا) وكانتْ فتاة ثريةً نبيلةً يتهافَتْ الخُطّابُ على طَلَبِ يَدِها، ولكنّهم لم يَفُوزُوا بها، وفازَ (باسّانيو) إذْ ساعَدَهُ الحَظُّ بِذلكَ، ولا حاجةَ إلى تَفْصِيلِ كيفَ تمَّ له ذلكَ، في هذا المُوجَزِ السَّريعِ.

ومرَّتْ أشهرٌ ثلاثةٌ عندما قَدمَ من البُندقيةِ على

(باسّانيو) صَديقٌ يحملُ أنباء مُزعجةً، فقد **غَرِقَتْ جميعُ السُّفُنِ والمَراكبِ التي تحملُ تجارةَ أنطونيو،** وأصبحَ التاجرُ البُنْدقيُّ الواسعُ الثراءِ لا يملِكُ شيئاً، واستحالَ عليه أن يَفِيَ بما عليهِ من دَيْنٍ لليَهوديِّ المُرابي (شَايْلُوكَ)، وأصرَّ الشيخُ الماكرُ على الانتقامِ من عدوِّهِ اللدودِ، بِمُطالبتِه بِرِطْلٍ من لَحْمِهِ! وعندما سَمِع (باسّانيو) هذه الأخبارَ أصابَهُ الهَلَعُ، وهدَّه الألمُ، وعَلِمَتْ بورشيا بالأمرِ، فأَبْدَتْ استعدادَها لِدَفْعِ أضعافِ المَبْلَغِ إلى اليهوديِّ الحاقدِ، وأرسلتْ باسّانيو دُونَ تَرَيُّثٍ لِيَعملَ على انقاذِ صديقِه الوفيِّ الصَّدوُقِ.

وفي قاعةِ المحكمةِ لم تُجْدِ جميعُ الوسائلِ لاستعطافِ الشَّيْخِ اليهوديِّ، وقد أصرَّ على تَنْفِيذ ما اشترَطَ، انتقاماً من التاجرِ المنكُوبِ بثروتِه، وإرضاءً

لِحقْدِهِ الأسودِ عليهِ.

ونُقدّم هنا إلى القارىء العَزيز **مَشْهَداً من قاعةِ المَحْكَمَةِ**، كما يُقدِّمُه شيكسبيرُ، وشخصياتُ المَشْهَدِ: الدوقُ حاكمُ البُندقيةِ، وأنطونيو، وشايْلُوكُ، وبَاسّانيو، مع غيرهِم من الأَعْيانِ الذين حَضَرُوا المُحاكمةَ.

— ٢ —

المشهد: البُندقيةُ: قاعَةُ المحكمةِ

الدوق: أنطونيو هُنا؟

أنطونيو: إني رَهْنُ إشارةِ سُموِّكم.

الدوق: إني آسَفُ لِما أَصابكَ، وإنّكَ لَتُواجِهُ خَصْماً قُدَّ قلبُه من الصَّخْرِ، مُجَرَّداً من الانسانيةِ، فاقِدَ الاحساسِ بالشَّفَقَةِ، ليستْ لدَيْهِ ذَرَّةٌ من العَطْفِ والرَّحْمَةِ!

أنطونيو: لقد سمعتُ أن سُموَّكم قَد بَذَلْتُم جُهْداً عظيماً لِتُخفِّفُوا من شِدَّةِ مَطالِبه، ولكنّه اتّخذَ موقفَ العِنادِ، ولمّا كانتْ مَوادُّ

القانونِ لا تُنْجيني من براثِن حِقْدِه،
فإني أواجِه حِدَّةَ غَضَبه صابِراً هادِئاً
لِتحمُّلِ قسوةِ حِقْدِهِ وضَغينَتِهِ.

الدوق: لِيَتَوَجَّهْ من يَدْعُو اليهوديَّ لِلْمُثولِ أمامَ المحكمةِ [يدخلُ شَايْلوكْ].

الدوق: أفْسِحُوا له الطريقَ، ودَعُوه يَقِف في مُواجَهتِنا، إن الناسَ كلَّهم يَظُنُّون يا شَايْلوكْ، وأنا معَهم في ذلك، أنَّ كُلَّ ما تُريدُه هو أن تَمْضِيَ في هذا الضَّرْبِ من الحِقْدِ البَغيضِ حتى آخرِ الشَّوْطِ، وهُم يظُنونَ أنك حينذاكَ ستُظهِرُ شفقَتَكَ ورحمتَك على نَحْوٍ أعجَبَ مِمّا تتظاهرُ به من القَسْوَةِ العجيبةِ. ويقولون إنَّكَ لنْ تنزلَ فقط عن الجزاءِ الذي تَوَدُّ توقيعَه باقتطاعِ

رِطْلٍ من لَحْمِ هذا التاجرِ البائسِ، بل
إنَّكَ ستأخُذُكَ الرحمةُ الانسانيةُ والعطفُ
وتُلْقِي عليه نَظْرَة لما أصابَه من الخَسائِرِ
الأخيرةِ الفادحةِ التي أَثْقَلَتْ كاهِلَهُ،
فتُعفِيهِ من بَعْضِ المالِ، وهو دَيْنٌ لَوْ أصيبَ
بِهِ أعظمُ التُجّارِ لأَفْلَسَ واستَدَرَّ العَطْفَ
من كُلِّ القُلوبِ، وإنْ قُدَّتْ منَ النُّحاسِ
أو الصَّخْرِ الأَصَمِّ! إنه لَخَطْبٌ يُؤَثِّرُ في
أَقْسى النُّفُوسِ ولو لَمْ تكُنْ تَأْلَفُ الرِقَّةَ في
المُعاملةِ، وإنّا جميعاً لَنَرقُبُ جَوَاباً رقيقاً
منكَ أيها اليهوديُّ!

شايْلُوكُ: لقد صارَحْتُ سُمُوَّكم بما أَهْدِفُ إليهِ،
ولقد أَقْسَمتُ بِسَبْتِنا المُقَدَّسِ أنْ آخُذَ مالي
مِنْ حَقٍّ لِمُضِيِّ الوفاءِ كما جاء في الصَكِّ،

فإذا أنكرتُم هذا فَلْتَقَعْ مُخالفتُكم أنظمةَ
مدينتِكم وحُرِّياتِها على كواهِلِكم، ولَسَوْفَ
تسألُني لِمَ أفضِّلُ الظَّفَرَ بقِطْعةٍ من اللَّحْمِ
الفاسدِ على ثلاثةِ آلافِ دُوقِيَّةٍ، ولكنّي
لَنْ أجيبَكَ عن هذا السؤالِ، ولكنْ، لِنَقُلْ
إنَّ هذا هُوَ مِزاجي الخاصُّ: فهل استطعتُ
أنْ أجيبَكَ؟ وماذا في الأَمْرِ إذا كان هُناكَ
فأرٌ يَعِيثُ في بَيْتي فَساداً ويُضايِقُني، وكان
يَسرُّني أن أؤدِّيَ عَشْرَةَ آلافِ دُوقيةٍ
لاصطيادِهِ؟ أترضَوْن هذا جَواباً؟ إنَّ مِنَ
الناسِ من يَمْقُتُونَ رُؤْيَةَ خِنْزيرٍ مَشْويٍّ فاغِرٍ
فاه، وآخرينَ يُجَنُّونَ جُنُوناً إذا شَاهَدوا
قِطّاً، ومنهم من لا يَستطيعُ مَنْعَ نفسِه من
التَبَوُّل إذا أَصْغى لِنَغْمَةِ مِزْمارٍ، ذلكَ أنَّ

عواطفَنا تُسَيْطِرُ سَيْطَـرة كامِلَةً على ما نُحبُّ
وما نكْرَهُ، والآنَ لأجِبْ عن سُؤالِكَ: كما
أنّه لا يَوجَدُ سَبَبٌ قويٌ يُوضِّحُ السرَّ في
كرَاهِيَةِ هذا الشخصِ لِخِنْزيرٍ فاغرٍ فاه، أو
ذاكَ لِلقطِّ العديمِ الأذى الذي لا بُدَّ من
وُجودِه في المنزلِ، ولا يُطيقُ ثالثٌ هذا
المزمارَ، فكذلكَ لا أستطيعُ أنْ أدْلِيَ
بسَبَبٍ، ولَنْ أدْلِيَ بسببٍ أكثرَ من أنّني
أضْمِرُ البُغْضَ لأنطونيو وأحقِدُ عليه أشَدَّ
الحِقدِ، ولهذا أمضي في قَضِيَّةٍ خاسرةٍ
ضِدَّه، أفَيُقْنِعُكم هذا الجوابُ؟

باسّانيو: ليسَ هذا جَواباً أيُّها الرجلُ العديمُ
المَشاعرِ يُسَوِّغُ قَسْوَتكَ التي نَراها!

شايلوك: لَسْتَ مُلْزَماً بأن تُعْجِبَكَ إجاباتي!

باسّانيو: أفَيَقْتُلُ الناسُ كُلَّ ما يكرهُونَ؟

شايلوك: أيَكْرهُ الإنسانُ ما لا يَرْغَبُ في قَتْلِهِ؟

باسّانيو: ليسَ ضَرورياً أن تُؤدِّيَ كُلُّ إساءةً إلى الكراهيةِ.

شايلوك: ماذا تقولُ؟ أفتَسْمَحُ لِثُعْبانِ بأَنْ يَلْدَغَكَ مرَّتَيْنِ؟

أنطونيو: أرجوكَ أن تَتَذكَّرَ أنَّكَ تُناقِشُ اليهوديَّ: إنه لأَسْهلُ عليكَ أن تَسْأَلَ الذئبَ لِمَ أبكىٰ النَّعْجةَ بافْتراسِ صغيرِها من أنْ يكونَ في وُسْعِكَ أن تُلِينَ قلبَ اليهوديِّ الذي لا نظيرَ له في قَسْوَتِهِ، ومِنْ ثَمَّ فَرَجائي إليكَ ألاّ تعرِضَ عليه شيئاً بعدُ، وكفاكَ جُهداً في هذا السبيلِ، ولكنْ عجِّلوا بإعلان القانونِ كما يَتَراءى لكم، واحكمُوا في قضِيَّتي،

وليظْفرِ اليهوديُّ بِمَرامِهِ.

باسّانيو: هـذه سـتةُ آلافِ دُوقيةٍ خُذْها مُقابِلَ آلافِكَ الثلاثةِ!

شايلُوكُ: لو أَنَّ كلَّ دُوقيةٍ من هذهِ الآلافِ الستةِ قُسِّمَتْ سِتَّةَ أقسامٍ، وصارَ كُلُّ قسمٍ منها دوقيةً لما رَضِيْتُ بذلكَ مَغْنماً: لَسْتُ أَبْغي غيرَ تنفيذِ شَرْطِ الوثيقةِ!

الدُّوق: كـيـفَ تـرجُـو مَرْحَمَةً وأنت لا تُظْـهِرُ شيئاً منها؟

شايلوك: وأيُّ حُكْمٍ أخشاهُ ما دُمتُ لا أَظْلِمُ أَحَداً؟ إن رِطْلَ اللَّحْمِ الذي أطالبُ بهِ قد اشتريتُه بثمنٍ غالٍ! إنه حَقِّي وسأنالُه، فإذا أبيتُم عليَّ ذلكَ فسيلحقُ العارُ بِقَضائِكم، ولن يُصبحَ لِقَوانينِ البُنْدقيةِ أيُّ

أثرٍ فعّال! إني أَقِفُ مُطالباً بحُكْمِكُم،
فأجيبُوني، هل أظفرُ بهِ؟

الدوق: إنّ من حَقّي أن أَقِفَ هذه المحكمةَ بمالي من
سُلطانٍ، ما لَمْ يَفِدِ العالِمُ الضَليعُ
(بيلاريو) الذي أرسلتُ في طلبِهِ اليومَ
للوُقوفِ على رأيِهِ في حَسْمِ هذهِ القضيةِ!

وعندَ ذاكَ يَصِلُ إلى قاعةِ المحكمةِ رسولٌ من مَدينةِ (بَادُوفا) مِنْ عندِ العَلاّمةِ (بيلاريو) يُوصي أَنْ تَأْخُذَ المحكمةُ برأيِ عالمٍ شابٍّ، يَدْخُلُ إلى القاعةِ، وهو في الحقيقةِ (بُورشيا) خطيبةُ (باسّانيو) مُتنكِّرةً، ويأخُذ الشابُ القادمُ أولَ الأمرِ جانبَ شايلُوكَ وحقِّه في طلَبِهِ، فيرتاحُ الشيخُ اليَهوديُّ إليهِ، ويُعْلِنُ إصرارَهُ على اقتطاعِ رِطْلِ اللَّحْمِ، ولو عُرِضَتْ عليهِ البُندقيةُ كُلُّها مُقَابِلَ ذلك لَما رَضِيَ، ويَسْتَسْلِمُ

أنطونيو ويَتَوَسَّلُ إلى المحكمةِ أن تُصْدِرَ حُكْمَها عَلَيْهِ، ويكشِفُ عن صَدْرِهِ، ويسألُ العالِمُ الشابُّ شايْلُوكَ:

ـ من حقِّكَ الحصولُ على رِطْلٍ من لَحْم هذا التاجِرِ وإنَّ المحكمةَ لَتحكُمُ لكَ بذلكَ، والقانونُ يُؤيِّدُكَ! **ولكنَّ الصكَّ لا يُبيحُ لكَ الحقَّ في قَطْرَةٍ واحدةٍ منَ الدِّماء!** خُذْ نصيبَكَ من اللَّحْمِ، ولكنَّكَ إذا أَرَقْتَ وأنتَ تَقْطَعُهُ قَطْرَةَ واحدة مِنْ دَمٍ مَسِيحيٍّ، صُودِرَ عَقارُكَ وبضائعُك لِدَوْلَةِ البُنْدقيةِ تطبيقاً لِقَوانِينِها!

وهنا يَتَراجَعُ شايْلُوكُ عن طَلَبه، ويرضى بأنْ يَتَقَاضى ثلاثةَ أَمْثالِ المَبْلَغ، كما عَرَض باسّانيو من قبلُ عَليْه، ولكنَّ العالِمَ الشابَّ يَتَدَّخلُ، ويرفضُ أن تَرْضى المحكمةُ بذلكَ، ويدعو شَايْلُوكَ إلى

اقْتطاعِ رِطْلٍ، لا يزيدُ في الوَزْنِ حَبةً عَنِ الرِّطْلِ، مِنْ لحمِ أنطونيو، دُونَ أن يُريقَ قطرة من دَمِه، وإلا كان مَصيرُ شايلوكَ الموتَ، وصُودِرَتْ جميعُ مُمْتَلَكاتِه!

وهكذا **يتنازَلُ الشيخُ اليهوديُّ عن كُلِّ شيءٍ لِيَنْجُوَ بنفسِهِ،** وتنتهي المسرحيةُ بإِنْقَاذِ أنطونيو من وَرْطَتِهِ، واكتشافِ باسّانيو شخصيةَ العالِمِ الشابِّ الذكيِّ الذي أَنْقَذَ حياةَ أنطونيو، دُونَ أن يُخالِفَ قوانينَ البُندقيةِ، وأَلْحَقَ الهزيمةَ والجَزاء بالشيخِ اليهوديِّ المُرابي، الذي خَرَجَ من قاعةِ المحكمةِ، وهو يَجُرُّ أذيالَ الخَيبةِ والنَّدامةِ.

وتنتهي المسرحيةُ بِمُفاجأةٍ سارَّة أخرى، فقد تمكنتْ ثَلاثُ سُفُنٍ من مَراكبِ أنطونيو التجاريةِ من النّجاةِ من الغَرَقِ ووصلتْ سالمةً بما تحملُ إلى مِيناءِ البُندقيةِ.

— ٣ —

تُعَدُّ مسرحيةُ (الملكِ لِيْر) من أَشهرِ مآسي شيكسبيرَ، وهي من نِتاجِ المرحلةِ الثالثةِ من حياتِهِ الفنيةِ، أخرجَها حوالَيْ ١٦٠٥-١٦٠٦ م، وأكثرُ مسرجياتِ هذهِ المَرْحَلَةِ من المآسي التي صَوَّرَ فيها الشاعرُ ما تُخَلِّفُهُ الجرائم والخطايا في نُفوسِ مُرتكبيها من عَذابٍ أليمٍ وشقاءٍ مُقيمٍ، **كما صَوَّر فيها رُوحَ الانتقامِ التي يحملُها كلُّ إنسانٍ في جَوانحِهِ**.

وتَرْجِعُ بنا مَأْساةُ الملكِ لِيْر إلى الماضي البَعيدِ، مُنذُ ألفَيْ عامٍ، في شمالِ بلادِ الانكليزِ كانَ يومَذاك مَلِكٌ طيِّبُ القلبِ، أحبَّهُ شَعْبُهُ لأنّه كان حاكِما عادِلاً، وقد شاخَ هذا المِلكُ دُونَ أن يُرْزَقَ

وَلَداً يَخْلُفُهُ على عَرْشِهِ، **فَعَزَمَ على أنْ يُقَسِّمَ مُلْكَهُ** بينَ بناتِهِ الثلاثِ، لِيُزيحَ عنْ كاهِلِهِ أعباءَ الحُكْمِ، ويَتْرُكَ لِبَناتِهِ وأزواجِهِنَّ مسؤوليةَ الحِفاظِ على أرضِ مملكتِه وشَعْبِهِ، ويَرْتاحَ في شَيْخُوخَتِه ويقضي أيامَه الأخيرةَ في دَعَةٍ وأمْنٍ وسَلامٍ، مُستريحَ القلْبِ ناعمَ البالِ، بعد أنْ بَلغَ الثمانينَ، وجَلَّلَ الشيبُ رأسَهُ.

وأقامَ الملكُ ليرُ احتفالاً عظيماً في قَصْرِهِ الكبيرِ لكيْ يُعْلِنَ تقسيمَ مملكتِه بينَ بَناتِهِ، ويُحَدِّدَ حِصَّةَ كُلٍّ واحدةٍ منهنَّ، وكانتْ بِنتاهُ الكُبْرَيانِ قد زُوِّجَتا من أميرَيْنِ، أمّا البنتُ الصُّغرى ــ واسمُها كُرْدِليا ــ فقد جاء مَلِكُ فرنسةَ وواحدٌ من أمَراءِ انكلترة، ونزلا ضَيْفَيْنِ على الملكِ لِيْر، وكانَ كُلٌّ منهما راغِباً في الزَّوَاجِ من صُغْرى بناتِه تلكَ، وقد

استدعى الملكُ الشيخُ بناتِه الثلاثَ وقال لَهُنَّ.

ـ إني أَوَدُّ أَيَتُها العزيزاتُ أن أُقَسِّمَ مُلْكي بينَكُنَّ، **لكِنّي أحِبُّ أن أَعْرِف قبلَ ذلكَ مَدى حُبِّكُنَّ لي**، بأَنْ تُجيبَ كُلُّ واحدةٍ منكنَّ عَنْ سُؤالٍ أُوَجِّهُهُ إليها على انْفِرادٍ!

وخَلاَ الملكُ بابنتِهِ الكُبرى (جُنْرِيل) وكانتْ فَتاةً خبيثَةَ الطَوِيَّةِ، مُسْرِفَةً في الأَنانيَّةِ، ولم تكُنْ تُضمِرُ لأ بيها شيئاً من الحُبِّ، ولكنَّها كانتْ تَتَوَدَّدُ إليهِ وتَتَمَلَّقُهُ، طَمَعاً في مِيراثِهِ، فلمّا سَأَلَها عن مِقْدارِ حُبِّها إياهُ، قالتْ وهي تَتَظاهر بالحَنانِ: أنتَ أعَزُّ عليَّ من سَوادِ عَيْني، وإني لأَفْديكَ بِنَفْسي، وأضَحّي في سبيلِكَ بِدَمي، وأَدْعُو اللهَ أن يَحْفَظَكَ سالِماً من كُلِّ سُوءٍ!

وخُدِعَ الملكُ ليرُ بِثَناءِ ابنتِه الكُبرى، وسُرَّ أعظمَ

السُّرورِ بما قالته، **وأعلَنَ أنه يَمْنَحُها ثلثَ مَملكتِه الكبيرةِ.**

وأما البنتُ الثانيةُ (ريجان) وهي الوُسْطى، فقد أجابَتْ أباها على سُؤالِهِ، **وكانت أخْبَثَ من أخْتِها** وأكثرَ لُؤماً وطَمَعاً، بِقَوْلِها: إني أحبُّك يا أبتاهُ قَدْر ما تُحبُّك أختي جُنْريل إنْ لَمْ أزِدْ عَلَيْها، وليسَ في الدُّنْيا شيء يُمكِنُ أن يَشْغَلَني عن حُبِّكَ، أو يَجْعَلُني أَغْفُلُ عنِ التفكير فيكَ لحظةً واحدة!

وفرِحَ الملكُ ليرُ بجواب ابنتِه الوُسْطى، وامتلأَ زَهْواً وإعجاباً بِثَنائِها، **وأَعْلَنَ لها أَنَّهُ يَمْنَحُها ثلثَ مُلْكِهِ،** لأنّها جذيرة بِحُبِّ أبيها ومكافأتِهِ لها.

وجاء دَوْرُ الصُّغرى (كَرْدلْيا) وكانت فتاة طاهرةَ القَلْبِ، نَقِيَّةَ النفسِ، مُخْلِصَةً حقاً في حُبِّ أبيها، ولكنّها لا تميلُ إلى الغُلُوِّ ولا تَعْرِفُ الكَذِبَ،

أجابتْ أباها عن سُؤاله بِقَوْلِها: **إنني أحِبُّك يا أبي كما تُحِبُّ كُلُّ فَتاةٍ والِدَها!**

واستاء الملكُ ليرُ من جَوابِ ابنتِه الصُّغْرى، وكان يَنتظرُ أن يسمعَ منها آياتِ المَديحِ والثناءِ، كما سمِعَ من أختَيْها المُرائِيَتَيْنِ، وعَدَّ قولَها عُقُوقاً، ورَكِبَهُ الغَضَبُ فَطَرَدَها من مَجْلِسِه، ولم يُدْرِكْ أَنّ إخلاصَها له هو الذي دَفَعَها إلى ذَلكَ الجوابِ، لِكيلا تَبْدُوَ مُتَمَلِّقَةً مُرائيَةً عندَ تَقْسِيمِ أبيها لِمُلْكِهِ بينَها وبين أخْتَيْها، وخرجتِ الفتاةُ الأَبيَّةُ مَحْرومةً من كُلّ إرْثٍ، وأعطى الملكُ المخدوعُ نصيبَها إلى أخْتَيْها إثْرَ ذلكَ!

وعندما تَبَيَّنَ لِلأميرِ الأنكليزيِّ الذي كانَ يخطُبُ كُرْدليا أنها لن تَفُوزَ من إرْثِ أبيها ومُلكِه بِشَيْءٍ تَخَلّى عَنْ طَلَبِ يَدِها، فتزوجتِ الخطيبَ

الثاني، ملكَ فرنسةَ، وحملَها إلى بلادِه، وقد أصرَّ الملكُ ليرُ على ألاَّ يَراها في قَصْرِه ثانيةً!

كانَ ملكُ فرنسةَ كبيرَ الإعْجابِ بصراحةِ كُرْدليا وعِزَّةِ نفسِها وإبائِها، ورَفْضِها أنْ تَبْدُوَ بمظهرِ المُتَمَلِّقَةِ لأ بيها لِتنالَ منهُ نَصيبَها من مِيراثِه، وقبلَ أنْ تُغادِرَ كُرْدليا انكلترةَ مع زَوْجها إلى بلادِه حاوَلَتْ أن تُوَدِّعَ أُخْتَيْها الوَداعَ الأخيرَ، فَلقِيَتْ منهما كُلَّ جَفَاءٍ وخُشُونَةٍ، وقالَ الملِكُ ليرُ لِزوجها: اذْهَبْ بها إلى حَيْثُ تُريدُ، فما أطيقُ رؤيةَ وَجهِها بعدَ اليوم!

وكذلكَ تَمَّ إعلانُ تقسيمِ المملكةِ بينَ الأختيْنِ الكُبْرَيَيْنِ، وتَخَلّى الملكُ ليرُ عن مُلْكِهِ جميعِه، ولمْ يَتْرُكْ لِنفسِه غيرَ لَقَبِ (المَلِكِ) ولَمْ يَحْتفِظْ بغيرِ مِائةِ فارسٍ، ليكُونوا حاشِيَتَهُ، وأَعْلَنَ أنه

سَيَنْزِلُ ضَيْفاً على إحدى ابنتَيْه في الشهرِ الأَوَّلِ، ثم ينتقلُ إلى ضيافةِ البنتِ الثانيةِ في الشهرِ الثاني، وهكذا سيَقْضي ما تَبَقّى مِنْ أيامِ حياتِهِ في ضيافةِ ابنتَيْهِ العزيزتَيْنِ البارَّتَيْنِ! وكان لِلملك لير وَزيرٌ حكيمٌ عاقلٌ اسمُهُ (**كَنْت**) فحاولَ أن يُصارِحَ الملكَ بِخطئِهِ، فلَمْ يَلْقَ منهُ أُذُناً مُصْغِيةً، وَغضبَ الملكُ على وزيرِهِ وطَرَدَهُ، وأَمَرَ بِنَفْيِهِ منَ المدينةِ، وتَوَعَّدَهُ بالقَتْلِ إنْ لَمْ يَرْحَلْ عنها!

وبعدَ أنْ أتمَّ الملكُ ليرُ توزيعَ مملكتِه وإرْثِهِ بدأ يعيشُ حياتَهُ على النَّحْوِ الذي أرادَهُ: **فذهبَ إلى قصرِ ابنتِه الكُبْرى (جُنريل) لِيقضي الشهرَ الأولَ في ضيافتِها**، ولكنّهُ لم يلبَثْ أنْ أدْرَكَ حقيقةَ ابنتِهِ التي كانَ الرياء والنفاقُ يَسْتُرانِها عن ناظِرَيْهِ، ذلكَ أَنَّ جُنريلَ بعدَ فَوْزِها بما كانت تَطْمَعُ فيه من

مال وسُلْطان، وبعدَ أنِ استَقَرَّ لها المُلْكُ لَمْ تَحْرَصْ على إخْفاء لُؤْمِها وعُقوقِها، وأصبحتْ تَجِدُ في أبيها وحاشيتِه الكبيرةِ عالَةً علَيْها، وعِبْءاً على خَزينتِها، واستكثَرَتْ على الملكِ الشيخ رجالَ حاشيتِه المِائةَ، فراحَتْ تَتَجهَّمُ لَهُ، وأصبحتْ تُماطِلُ في تلبيةِ رَغَباتِهِ، وتَسْتَثْقِلُ ما يُنْفَقُ على حاشيتِه من الفُرسانِ وخُيولِهم، واقتدى خَدَمُها بها فأصبَحُوا يُعامِلُون الملكَ الشيخَ بِقِلَّةِ الاكتراثِ، ولا يُلَبُّونَ لهُ طَلَباً، وكانَ الوزيرُ الناصحُ الأمينُ الذي طردَهُ الملكُ ليرُ قد انضمَّ إلى خَدَمِ الملكِ مُتَنَكِّراً، لِيَظَلَّ إلى جانبِ مَوْلاهُ، يَحْرُسُهُ ويَرعاهُ، حُباً وإخلاصاً وَوَفاء، وقد شهِدَ الوزيرُ المُتنكِّرُ يوماً استِهْتَارَ واحدٍ من خَدَمِ جُنْريلَ بالمَلِكِ الشيخ، وهو يُجادِلُه بِوَقاحةٍ واحتقارٍ، فَثَارَتْ ثائرةُ الوزيرِ الوَفيِّ، وصَفَعَ الخادمَ صفعةً

أَدْمَتْ قَفَاهُ، جَزاء على تَطاوُلِهِ وسَفَاهَتِهِ، فابتهجَ الملكُ ليرُ لِتأديبِ الخادمِ الوَقِحِ، وسُرَّ لإِخْلاصِ خَادِمِهِ الجديدِ، غيرَ أنَّ ابنتَه جُنريلَ أَفْلَحتْ في إقناعِهِ بأَنْ يكتفيَ بعشرينَ فارساً لِحِراستِه، فحياتُه آمِنَةٌ وغيرُ مُهَدَّدَةٍ، والحاشيةُ الكبيرةُ نَفَقاتُها ثقيلةٌ على ابنتِه دُونَ فائدةٍ منها!

ثُم عَزَمَ الملكُ ليرُ على الانتقالِ إلى ضيافةِ ابنتِه الثانيةِ (ريجانَ) وهو يَأمُلُ أَنْ يجدَ عندَها من الإيثارِ والوَفاء ما لَمْ يجِدْهُ عندَ الأولى، وقبلَ رحيلِهِ إليها بَعَثَ إليها رَسُولَه ــ وهو وزيرُه الأمينُ المُتَنَكِّرُ ــ لِيُخْبِرَها بِقُدومِه، وكانتْ أختُها الماكرةُ قد وافَتْها بأخبارِ الأبِ الشيخِ، وكَثْرَةِ حاشيتِه وجَلَبَتِها وضَوْضَائها ونَفَقاتِها، فاستقبلَتْ ريجانُ رَسولَ أبيها استقبالاً جَافاً، فلمّا حاولَ أن يُذكِّرَها

بما لأبيها الشيخِ الجليلِ من حُقوقٍ علَيْها، ثارَتْ في وَجْهِهِ غاضبةً، وأَمَرَتْ بحبسِهِ، عِقاباً لهُ على جُرْأَتِهِ، فلمّا وَصَلَ الملكُ ليرُ مع فُرسانِهِ العشرينَ إلى قَصْرِها لَمْ يَجِدْ ما كانَ يَرْجُوهُ من تَرْحيبٍ بِقُدُومِهِ، وعَلِمَ بِحَبْسِ رَسُولِهِ فاشتدَّ غَضَبُهُ، وراحَ يُقَرِّعُ ابنته العَاقَّةَ ويُؤَنِّبُها، فانْبَرَتْ لهُ قائلةً:

ـ خَفِّفْ من غَضَبِكَ أَيُّها الأبُ الشيخُ، وإنَّ أختي لها كُلُّ العُذْرِ في نَفَادِ صَبْرِها مِنْ صَخَبِ رجالِكَ وعَبَثِهم في قَصْرِها، واقترافِهم الشُّرُورَ والآثامَ، فَقُصورُ المُلوكِ جديرةٌ بأَنْ تُحْفَظَ مِنْ عَبَثِ العابثينَ وصَخَبِ اللاّهينَ!

ولم يُصدِّقِ الملكُ الشيخُ ما سمعَتْه أُذُناه من بنتِه الثانيةِ، وكادَ يُغْمى عليهِ من فَرْطِ الأَسَى والحُزْنِ، لولا اعتصامُهُ بالصَّبْرِ، وقد أدركَ مدَى خَطَئِهِ في

تَنَازُلِهِ عنْ مملكتِه وثروتِه لابنتَيْهِ الجَاحِدَتَيْنِ!

وقالت ريحانُ لأبيها:

ــ ما حاجةُ مثلِكَ أيها الشَّيْخُ إلى مثلِ هذا العَدَدِ الكبيرِ منَ الحُرّاسِ والجُنْدِ؟ إني لأَسْتكْثِرُ عليكَ خمسةً، وأنتَ لن تَحتاجَ إلى فارسٍ واحدٍ، وإن خَدَمي يُؤدُّونَ لك كُلَّ ما تُريدُ، فما انتفاعُ مثلِك بالحاشيةِ!

وهنا اتّضَحَ لعيني المَلِكِ الشيخِ ما كانَ خافياً من عُقوقِ ابنتَيْهِ ونُكرانِهما، فاشتدَّ سُخْطُهُ، ودَعا عليهما بأنْ تلْقَيا الجزاء العادِلَ وسُوءَ المَصيرِ، عِقاباً لهما على غَدْرِهما، وعَزَمَ على الرَّحيلِ عنهما، مُسْتَسْلِماً إلى أحزانِهِ ويَأسِهِ ومَصيرِهِ المَجْهُولِ!

— ٤ —

انطلَقَ الملكُ لِيرُ هائِماً على وَجْهِهِ في قَلْبِ الغابةِ، ولَمْ يَصْحَبْهُ غَيْرُ وَزِيرِهِ الأمينِ المتنكِّرِ في صُورَةِ خادمٍ، وواحدٍ آخرَ من خَدَمِ المَلِكِ، وكانتِ الليلةُ عاصِفَةً شديدة البَرْدِ، كثيرةَ الأمطارِ، قاصفةَ الرُعُودِ، وقضى الرجالُ الثلاثةُ ليلةً مُروِّعَةً، وهم تائِهُونَ في ظلامِ الليلِ ودُروبِ الغابةِ، حتى وَصَلُوا إلى كُوخٍ صغيرٍ يَقْطُنُهُ (**تُوم المسكينُ**) فَدَخَلُوه، وبعد قليلٍ وَصَلَ الأميرُ (**جُلُسْتر**) الذي ظَلَّ مُخْلِصاً لِلْمَلِكِ لِير، وقد جاء يبحثُ عنه لِيَأْخُذَهُ إلى قَصْرِهِ القريبِ، ويُنْقِذَهُ من أَعْدائِهِ المُتَربِّصينَ بِهِ، وكانَ للأميرِ جُلُستر وَلَدانِ: أحدُهما (**أدْجارُ**) وهو ابنُه

حقاً، وكان مِثالَ الوَفاءِ، وثانيهما **(ادمُونْد)** وهو مُتَبَنّاهُ، وكان مثالَ العُقوقِ، وقد رَبّاهُما معاً فلما كَبِرا لم يكُنْ للثاني هَمٌّ غيرُ الوشايةِ بأخيهِ، لإيغارِ صَدْرِ أبيهِ عليهِ، وليَسْتَأثِرَ هو وحدَهُ بكُلِّ شيءٍ! وقدْ أوهَمَ ادمُوندُ الأميرَ الأبَ أَنَّ ابنَهُ ادجارَ طامِعٌ في قَتْلِهِ وثَرْوَتِهِ، فَطَرَدَ الأميرُ ابنَهُ وتَوَعَّدَهُ بالقَتْلِ، ولم يَجِدِ الإبنُ البَارُّ المظلومُ بُداً من الهَرَبِ من وَجْهِ أبيهِ، **فتنكَّرَ في زِيِّ (تُوم المِسكينِ)** وعاشَ في ذلكَ الكُوخِ الحقيرِ في الغابةِ، **وخَلا الجَوُّ لإدْمُوندَ** ومَكْرِهِ وخُبْثِهِ وطُموحِهِ، **ولم يلبث أن أصبحَ مُستشارَ المملكةِ كلِّها**، وموضعَ ثقةِ الأميرتَيْنِ الأخْتَيْنِ، ابنتَي الملكِ لِيْرَ، وقد أَسْهَمَ في تأليبِ الأخْتَيْنِ على أبيهما، لِلخلاصِ منه، ولم يَجِدِ الخبيثُ ما يَرْدَعُهُ عن الوِشايةِ بالرجُلِ الذي تَبَنّاهُ، فكانَ يُبلِّغُ

الأختَيْنِ أخبارَ الأميرِ جُلُستر وَوَفائه لأ بيهما، ويُحذِّرُهما منه، خشيةً من أنْ يَمُدَّ يَدَهُ إلى أبيهما ويُعينَه على اسْتِرْدادِ عَرْشِهِ وأملاكِهِ منهما! وقد عَجَّلَتِ الأختانِ بالقَبْضِ على الأميرِ الوفيِّ لأ بيها، بعدَ عَوْدَتِهِ من لِقاءِ الملكِ ليرَ وتَحْذيرِهِ من الأَخطارِ المُحدقةِ بِهِ، وأُلْقيَ بالأمير في السجن، وعُذِّبَ عَذاباً أفْقَدَهُ نُورَ عينيهِ، ثم رَمَوْا به خارجَ السِّجْنِ، وقد أصبحَ أعمى يتلمَّسُ طريقَه بيدَيْه! ولَقِيَهُ (تومُ المسكينُ) على هذه الحالِ البائسةِ، وهو على الحقيقةِ ابنُه الوفيُّ إدْجارُ ــ كما قَدَّمْنا ــ فَفَاضَ قلبُه لَوْعةً وحُزْناً على أبيهِ، وظَلَّ يُلازِمُه ويَرْعَاهُ، وإنْ لم يكشِفْ له عن حقيقتِه. وقد صادفا في الحُقُولِ ليرَ، وقد أصبحَ في حالةٍ مُؤسِفَةٍ من الضَّياعِ والهَذَيانِ وسُوءِ المآلِ!

كانتْ أخبارُ مأساةِ الملكِ ليرَ قدْ وَصَلَتْ إلى مَسامِعِ ابنتِهِ الوفيَّةِ الصُّغْرى كُرْدليا، فأخبرَتْ بذلك زوجَها الحبيبَ ملكَ فرنسةَ، فلم يتردَّدْ في إعْدادِ جَيْشٍ كبيرٍ لتأديبِ الأختَيْنِ الغادرتَيْنِ والتنكيلِ بهما، وأسرَعَتْ كُرْدليا مع الجيشِ لِنَجْدَةِ أبيها وإنقاذِهِ، وقد استطاعتِ الفتاةُ البارَّةُ الحَنُونُ أن تَرُدَّ إلى أبيها الذاهِلَ وعْيَهُ، فعَرَفَها واعتذَرَ لها نادِماً عَنْ ظُلْمِه لها، وعَرَفَ صِدْقَ حُبِّها العظيم له، والتقى الجيشانِ: جَيْشُ الأختَيْنِ الغادرتَيْنِ وجَيْشُ كُرْدليا في معركة طاحنةٍ، كان الفوزُ فيها لِلْخُبَثاء الثلاثةِ: جُنريلَ وريجانَ ومستشارِهما إدْمُوندَ الذي قادَ الجيشَ وأحرزَ النصرَ، وأَسَرَ كُرْدليا وأباها الملكَ ليرَ، وأودَعَهُما السِّجْنَ.

وكانَ زوجُ جُنريلَ، الأميرُ (ألباني) رَجُلاً

طيِّبَ القَلْبِ، فأصرَّ على إطْلاقِ سَراحِ الأسيرَيْنِ، وأصَرَّ إدْمُوندَ على بقائِهما في السِّجْنِ، وغَضِبَ الأميرُ (ألباني) وَدَعا إدْمُوْدَ لِلمُبارزةِ، وبينما الجمعُ في هذا الموقفِ الغاضبِ امتَشَقَ إدْجارُ ـ ابنُ الأميرِ جُلُسترَ ـ سَيْفَهُ وَدَعَا إدْمُوْنَدَ إلى مُبارزتِه قائلاً:

ـ هلمَّ أيُّها القائدُ، لِتكتُبَ آخرَ صفحةٍ في تاريخِ حياتكَ المَمْلوءة بالشُّرورِ والدَّنايا والأرْجَاسِ! واهتاجَ إدْمونْدُ لِلإهاناتِ التي صَبَّها عليه الرجلُ الذي يَدْعُوهُ إلى المبارزةِ، فَجرَّدَ سَيْفَهُ، ودارَتْ رَحى قِتالٍ مُسْتَميتٍ بينَ الرجُلَيْنِ، وعاجَل إدْجارُ خصمَهُ بطعنةٍ قاتلةٍ جعَلتْهُ يَهْوي إلى الأرضِ مُضَرَّجاً بِدِمائِه، وأغْمِيَ على ريجانَ فَزَعاً، وكانتْ أختُها جُنريلُ دَسَّتْ لها السُّمَّ قبيلَ ذلكَ، لِتَسْتَأثِرَ بالمُلكِ وَحْدَها، وهكذا سقطتْ ريجانُ إلى

الأرضِ بلا حَراك، وعِندما رأتْ جُنريلُ انهيارَ آمالها بِمَصْرَعِ إدْمُونَدَ الذي كان مَعْقِدَ أملِها لِلتَفَرُّدِ في الحُكْمِ، عاجَلَتْ نفسَها بِطَعْنَةٍ قاتلةٍ، وهكذا تَوالَتْ مَصارِعُ الخُبثاءِ الثلاثةِ، مُوَدَّعِينَ باللَّعناتِ، لِما جَنَتْ أيديهم من الشُّرورِ والآثامِ.

وأَسْرَعَ الأميرُ المُنتصرُ إدجارُ لإنقاذِ الأَسِيرَيْنِ: كُرْدليا وأبيها الملكِ لِيرَ، ولكنَّ القضاء كانَ أسرعَ منه إلى تلكَ الفتاةِ الطاهرةِ التي لَقِيَتْ حَتْفَها مَصْلُوبَةً في السِّجْنِ قبلَ أنْ تَصِلَ إليها أيدي المُنْقِذينَ! **واستَوْلَى الذُّعْرُ والخبالُ على الملكِ لِيْرَ، فحملَ جُثَّةَ ابنتِهِ بينَ يَدَيْهِ** وَهُوَ يَبْكي بُكاء تَنْفَطِرُ لِلَوْعَتِهِ أَقْسى القلُوبِ!

وهكذا خُتِمتْ مَأساةُ الملك لير بالدُّمُوعِ والهَذَيانِ والجُنونِ، حتّى لفَظَ الشيخُ المِسكينُ أنفاسَهُ

الأخيرةَ، وقد طَحَنَتِ الاحزان قلبَهُ وأسلَمَتْهُ إلى الموتِ.

المحتوى

سلسلة في عشر حلقات تعرض سيراً موجزة
لأعلام مبرزين من الشرق والغرب

١- الاسكندر الاكبر
٢- هنيبعل
٣- أبو العلاء المعرّي
٤- ابن بطوطة
٥- ابن خلدون
٦- كريستوف كولومبوس
٧- وليم شكسبير
٨- نابليون بونابرت
٩- ليون تولستوي
١٠- المهاتما غاندي

33

2as

سلسلة صغيرة تغنيك
عن مكتبة كبيرة

دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش
ص.ب: (٦٩١٨ - ١١)